ديوان

عبد الحميد الديب

شاعر البؤس

تحقيق ودراسة محمد رضوان

مراجعة وتقديم فاروق شوشة

المجلس الأعلى للثقافة

ديوان
عبد الحميد الديب

شاعر البؤس

تحقيق ودراسة : محمد رضوان

مراجعة وتقديم: فاروق شوشة

المجلس الأعلى للثقافة

الطبعة الأولى ٢٠٠٠

تقـــديم

عبد الحميد الديب
وتر نافر وصعلكة مبدعة

بقلم فاروق شوشة

يا معشر الديب وافى كلُّ مغتربٍ

إلاَّ غريبكم فى مصر ما بانا

قدمتم الشاة قرباناً لعيدكم

والدهر قدمنى للبؤس قُربانا

" عبد الحميد الديب "

فى معترك التحول الشعرى الكبير ، بين كلاسيكية تترنح وتتهاوى ، ورومانسية ثائرة جامحة متمردة ، بين شعر شغل طويلا بخارج الإنسان : شواغل واهتمامات وعرض حياة وشعر يصطبغ بالوجدان ، ويأخذ عنه شهادته على إبداع جديد وليد . فى أتون هذا التحول العنيف ولدت شاعرية عبد الحميد الديب وترا نافرا فى قيثارة الشعر ، وصوتا مغايرا للمعهود والمألوف من معجم الشعراء ، وعريا كاملا - حتى إحداث الصدمة أحيانا - من مواضعات العصر وطبقية تصنيف الشعراء ، وسيطرة المفهوم المتوقر للمعجم الشعرى .

ولم يكن عبد الحميد الديب يمتلك من مقومات هذا الموقف - النافر والمغاير - غير بضاعة شعرية يمكن أن تصنف داخل إطار السياق العام ، من حيث التكوين والتأهيل ، والانتماء الحميم للموروث الشعرى - شأن شعراء جيله - لكنها وهى الدالة على نموذجه الكلاسيكى ، أتيح لها من جوهر روحه وتمرده ، تلك النار المقدسة التى يقدر لها أن تتوهج وأن تشتعل بها عبقرية شعرية مغايرة ، شغلت حتى النخاع بتقييم ذاتها وذوات الآخرين ، وحظها المتدنّى وحظوظ الآخرين ، فكان وعيها العميق بالتفوق ، بالرغم من دونية الوضع الاجتماعى والإمكان المادى ، مطلقاً لهذا المارد الشعرى الذى يجرف فى طريقه - بوعى وبدون وعى - الأصدقاء والأعداء ، حتى ليصبح خطراً داهماً يتهدد كل من يعرفه ويلتصق به ، لن تشفع له صداقة ، ولن تغفر له مكرمة سابقة لأن الذى يتفضل به الآخرون من فتات هو بمنطق الديب استرداد لبعض ماله من حقوق قبل الحياة قبل أن تكون حقوقاً قبل البشر ، ومن رد اعتبار لشاعريته وفنه - وما أشد اعتزازه بهذا الفن وهذه الشاعرية إلى درجة المغالاة - إذن لا فضل لأحد عليه ، كلّ فضلٍ يصبح دون ما يستحق وكل تكريم يصبح أقل من قدره ومنزلته والذى يعطى ليس بأفضلَ ممن يأخذ بأية حال من الأحوال .

نحن إذن أمام صورة شديدة العصرية للشاعر الصعلوك فى موروثنا الشعرى القديم . الصعلكة فى حقيقتها ليست مجرد فقر أو إعدام ، وليست مجرد المبيت على الطوى أو ربط الحزام على البطن أو اضطرار صاحبها إلى أن يستف تُرب الأرض ، لكنها - أولاً وقبل كل شئ - التمرد على هذا كله ، والعزم على تغييره . الصعلكة إذن روح عارمة لاجتياز حاجز الفقر ، المادى والوجودى ، وإرادة إنسانية واعية بالحق الذى ينبغى أن يكفله المجتمع لأبنائه من هنا فقد ترددت فى شعر الصعاليك : عروة بن الورد والشنفرى وتأبط شرا وغيرهم فكرة الحق والحقوق ورد الحق إلى أصحابه وأخذ الحق لمن لم يستطع أن يصل إليه .

يقول عروة :

أتهــــزأ مني أن ســـــمنت وأن ترى
بجـــســـمي نحــول الحق والحق جــاهدُ

وإني امـــرؤ عـــافي إنائي شـــركـــة
وأنت امـــرؤ عـــافي إنائك واحــــدُ

أقسّم جـــســمي في جـــسوم كـثـيـرة
وأحـــســـو قـــراح المياء والماء باردُ

ويقول أيضاً :

أليس عظيـــمـــا أن تلم ملمـــة
وليس علينا في الحـــقـــوق مُـــعـــوّل

فـــإن نحن لم نملك دفـــاعـــا بحـــادث
تُـلم به الأيام فـــالموت أجـــمــلُ

الصعلكة إذن هي هذه الروح المتمردة التي منحها التمرد شجاعة خارقة وقدرة أسطورية وموقفاً نادراً من أجل تحقيق الحق واسترداد الحقوق . وهي التي جعلت شعر هذه الزمرة من الخارجين على قانون ذلك الزمان – قانون القبيلة وأعراف المجتمع وتقالبده – مغايرا للشعر القديم في نسقه المألوف ، المساير للتقاليد والصنعة الفنية معاً . وهي التي جعلت القدماء يسمون هؤلاء الصعاليك باللصوص ، وأحلاس الليل ، وقطاع طريق القوافل ، وغيرها من التسميات التي توقفت عند العرض الخارجي دون أن تنفذ إلى المعنى الأعمق ، إلى الجوهر الوجودي والإنساني لفعل الصعلكة وشعرها المغاير .

عبد الحميد الديب واحد من هؤلاء الشعراء الصعاليك – بهذا المعنى – تأخر به الزمان . لكنه ينحدر من أصلاب عروة والشنفرى وتأبط شرا والسليك . ويعيش روح الصعلكة باعتبارها تمردا على التقاليد وعلى الواقع ، كما عاشوها وليس بوصفها مجرد حُرفة أو محارفة ، أو مجرد خلو جيب أو جوع معدة أو لسعة ظمأ إلى شراب .

من هنا هذه الروح المتكبرة العاتية التى يمتلئ بها شعره ويتوهج ، لأنه يرى نفسه دائماً أعظم ممن يقصدهم ، ويرى شعره أرفع مما يكتبه شعراء التقاليد المستأنسة والمسيطرة التى تحقق المنفعة ، والقيم التى تؤازر المصالحة ولا تعمق شقة الخلاف أو الصدام أو الخروج على المألوف .

يقول عبد الحميد الديب :

يـا أمـــــة جـــــهلتنى وهى عـــــالمة
أن الـكـواكـب مـن نـورى وإشــــــراقى
أعـــــيش فـــــيكم بلا أهـلٍ ولا وطـن
كـــعـــيش متـجـع المعـــروف أفّـــاقِ
وليس لى مـن حـــبـــيب فى ربوعكمـــو
إلا الحـــبـــيـــبين : أقـــلامى وأوراقى
ريشـت لحظّى ســـهـــام من نميـــمـــتكم
فـــصـــارعـــتنى ومـــالى دونهـــا واقِ
لم أدر مـــاذا طعـــمـــتم فى مـــوائدكم
لحم الـذبيـــحـــة أم لحــمى وأخــلاقى !

هذا الأفق الشعرى والإنسانى الذى حرص عبد الحميد الديب على أن يتوجه إليه ويرتفع بتمرده وعناده وإصراراه وأحيانا بهجائه المقذع ، وأبياته العارية التى أتيح لها انتشار واسع وذيوع صيت حتى لقد حفظها الكثيرون باعتبارها جوهر شعر الديب وشهادة إبداعه الشعرى ، هذا الأفق ضمن للديب تفرّده ، واتساع إهاب شعره الكلاسيكى لروح عصرية شديدة الحرارة والتوهج ، فكأن شعره جاء شهادة على أن الخمر الجديدة تضفى على آنيتها رونقها المغاير ، وتجعل لها حضورا فنيا وتشكيليا مخالفا للسائد والمألوف .

يقول الديب :

شكوت ، ومـــا شكواى ضـــعف وذّلة
فلست بمســـتجـــد ولا طالبـــا يدا
ولكننى أفـــحـــمت ظُلمـــا بمنطق
من الدهر ، لم تبلغ غـــبـــاوته مـــدى
دمى دم أكـــفـــاء الحـــيـــاة ونظرتى
بهـــا للمـــحـــيط الضـــخم لا الطلّ والندى

وهو يرى فى نفسه وفى شعره عونا للهيف وغوثا ونصرة للمحتاج وهذا دليل على روح الصعلكة بمعناها الحقيقى وفى جوهرها الفروسى النبيل عندما يقول :

أأســـجن من عـــون اللهـــيف وغـــوثه
ونُصـــرتى المظلوم ســـجناً مـــؤيدا
أيبـــتئـــسنى قـــومى ، لأنى شـــاعـــر
أهلهل فى الآلام شـــعـــرا مـــخلدا
وشدت كـــمـــا شاد النبيـــون شـــرعـــة
تنزل فـــيـــهـــا الوحى شـــعـــرا مـــردّدا
وقلت وقـــال الناس ، لم يبق قـــولهم
بيـــانا ولا ســـحـــرا ، فـــأربيت منشـــدا

حتى يصل إلى ذروة الموقف الوجودى والشعرى فى قوله :

يمينا لئن لم يؤمنوا بقـــضـــيـــتى
لأمـــضى إليـــهم ســـهم ظلمى مـــسددا

سأرقب عدلاً من قضاتى ، فإن أبوْا
أبت قوتى فى الهجّو أن تتقيدا

ولنتوقف قليلا عند هذه الأبيات ، هى أولاً تذكرنا بنفس المتنبى ، شاعر العربية الكبير ، فى قمة زهوه واعتداده بنفسه ، وإحساسه بقدرته الإبداعية المغايرة لكل ما عداه ، ولكل شعراء زمانه حين قال من البحر نفسه والقافية نفسها ، وكأن عبد الحميد الديب فى فورة زهوه بذاته وشعره متابع للمتنبى دون أن يدرى فى قصيدته الشهيرة التى يخاطب فيها سيف الدولة :

أجزنى إذا أنشدت شعرا ، فإنما
بشعرى أتاك المادحون مرددا
ودع كل قول غير قولى فإننى
أنا الطائر المحكىُّ والآخر الصدى
وما الدهر إلا من رواة قصائدى
إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

لنتأمل الآن ثانية الديب وبيتيه الجريئين المتمردين :

وشدت كما شاد النبيون شرعة
تنزل فيها الوحى شعرا مردّدا
وقلت وقال الناس لم يبق قولهم
بيانا ولا سحرا ، فأربيت منشدا!

أليست هذه روح المتنبى وكبرياءه ، ولغته ، وغلوّه فى زهوه بقيمته وقدره ومنزلته ! أليس المتنبى بدوره واحدا من هؤلاء الصعاليك العظام الذين عبروا ذاكرة الشعر العربى ، وتركوا فيها كلماتهم الباقية لامتلائها بهذا التوهج وهذا التمرد وهذه المغايرة فى الأفق وهذه الثورة على السائد والمألوف ، على التقليدى الميت الخالى من كل روح ؟

بلى ، هى فعلا . بل هو يذكرنا بمن هو أبعد من المتنبى وأسبق ، بالمهلهل الذى قيل فيه إنه سمى بهذا الاسم لأنه أول من هلهل القصيد ، أى أول من أحكمه وجعل له بنية تحكمه ونظاما يمضى عليه ، ألم يقل الديب :

أيـــــئـــسنى قـــومى ، لأنى شـــاعـــر

" أهلـهل " فى الآلام شـــعـــرا مـــخلدا

هذه الهلهلة التى يشير إليها عبد الحميد الديب ، هى الترجمة الحقيقية والإفصاح الجهير عن شعوره بالتفوق والريادة . وهذا الإفصاح الذى داخلته المبالغات وتضخم الذات هو رد الفعل الحاد لشعوره الداخلى - بينه وبين نفسه - بأنه الأزهرى الذى لم يكمل تعليمه ، والأديب الذى لم يتح له وضع اجتماعي يحترمه به الناس كغيره ممن هم أقل قدرا ، وأتيحت لهم المناصب وتحقيق المآرب وتسنم سلّم الرقى الإجتماعى والمادى من حيث الحيثية والأهلية بينما قعدت به ظروفه عن نيل بعض ما نالوه ومواجهة العوز بسلاح الدخل الثابت الآمن ، والمستقبل بيقين المطمئن الهانىء البال .

وبالرغم من فقره وعوزه ، فإنه لم يسلم من ناهشى العرض والشامتين فيه . وبقدر شكواه من هؤلاء ، فإن الشكوى تشف عن وجه آخر للأمر وتنم عن تقدير داخلى لذاته . إن الناس لا تتناول بألسنتها الحداد إلا من كان له وجود وقدر وأهمية أما ساقطو المنزلة فلا يلتفت إليهم أحد . بل ربما كان هذا الشعور الذى يلاحقه ويطارده من كراهية الناس له وحقدهم عليه وشماتتهم به حافزا لتعاليه ومفجرا للمزيد من إبداعه الشعرى :

أمـــرّ على المقــــهى ، فـــأســمع شـــامـــتـــاً

يمـزق فى عـــــــرضى وآخـــــر يشـــــفـعُ

وقـــد ســـاء ظنى بالـعـــبـــاد جـــمـــيـعـــهم

فــأجـمــعت أمـــرى فى العـــداء وأجـــمـعـــوا

وينفجر الجرح ألماً نازفا وشجىً كاويا ، من خلال صياغة شعرية محكمة - هى جوهر الصياغة الكلاسيكية وتقاليدها العريقة الراسخة - وكأن الديب يذكرنا بكبار المبدعين الذين مزقتهم أسنّة الجحود والتنكر على تعاقب الأزمنة واختلاف الناس ، فتعانقتا أرواح ابن الرومى والمعرى فى القدماء وحافظ إبراهيم والشابى فى المحدثين عندما يقول :

مــــا بال من عــــرفـــوا أليم خـــصـــاصـــتى
ورقـــيق حـــالى ، ليس فـــيــهم مُـــســـعفُ
من كــــان يـقـــدر أن يـفــــرّج كـــــربتى
ويـنيـب مـــــدمـــعـــه فظلم منصفُ
يتـــمـــتـــعـــون بمدمـــعى وشكايتى
والبــــدر سلوى للورى إذ يـخـــسـف
ولـربمـا غـــــــدت المواجـع سلـوة
للمـــتـــرفين ومـــتـــعـــة لا توصف
ولقــــد تسلّى العين وهى قـــريرة
بمن اغـــتـــدى فى قـــيـــد سـجنٍ يرسفُ

حتى نصل إلى قوله :

أأرى ذئـابـاً ؟ أم صـــحـــابـاً ؟ إنـهـم
وجـــمـــيـــعـــهم فى الخطب لم يتـــعطّفـــوا
بار "اللواء" جـــمـــعـت بعض كــتـــائب
والحـــقـــد فـــيــهم مـــســـتـــبـــد مـتلفُ
وقـــفـــوا كـــمـــا وقف الزمـــان بمحنتى
لدمى البــرئ جـــمـــيـــعـــهم يسـتـنزفُ
أأعـــيش بينهـــمـــو شـقـــيـاً مُـــعـدمـــا
وهـمـــــو غنىٌ ناعـمٌ ومـــــوظـف !

لقد أتيح لعبد الحميد الديب أن يشهد التحولات الشعرية الكبرى فى زمانه : انحسار الكلاسيكية بعد رحيل علميها الكبيرين حافظ إبراهيم ثم أحمد شوقى ، واشتعال المدّ الرومانسى ممثلا فى جماعة أبوللو التى أسسها الدكتور أحمد زكى أبو شادى عام ١٩٣٢ وأعلن عن قيامها قبل رحيل شوقى بأيام قليلة ، وما أثارته جماعة الديوان منذ نشر كتاب الديوان لعباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازنى فى مستهل عشرينيات القرن وانضمام عبد الرحمن شكرى بعد ذلك إليهما فى الفكر والنظرة الجديدة إلى الشعر التى لا تعترف بشعر المناسبات الخارجية – الذي اهتم به الكلاسيكيون – وتدعو لشعر الوجدان الذى وجد نموذجه أولاً فى شعر المهجريين من أمثال جبران وميخائيل نعيمة وإيليا أبى ماضى وآل المعلوف ثم فى شعر الرومانسيين من أمثال على محمود طه وإبراهيم ناجى ومحمود حسن إسماعيل وأبى القاسم الشابى ومحمد عبد المعطى الهمشرى وغيرهم . وكان الديب أكثر اقتراباً من حيث الصيغة والشكل إلى النمط الكلاسيكي للقصيدة ، لكنه في الوقت نفسه كان خليطا من أصداء الديوان والمهجريين والرومانسيين من حيث اللغة الشعرية والخيال المجنح والقدرة على التصوير والمبالغة فى التعبير عن إفضاءات الذات والوجدان . من هنا فإن قارئه المتأمل تستوقفه طيلة الوقت القفزات والانتقالات من جهارة الأداء الكلاسيكي – كما فى شعر حافظ إبراهيم خاصة فى هجائياته الاجتماعية ووطنياته – إلى تدفق الأداء الرومانسى ونعومته – كما فى شعر ناجى وعلى محمود طه والشابى – وإن كان الأداءان يجيش فيهما نَفَسُ عبد الحميد الديب المتمرد الثائر ونزعته الحادة العنيفة المقعمة بالسخرية والهجاء ، حتى لوقادته إلى الإقذاع والتورط فى معجم شعرى يصدم ذوق القارئ ويتعارض مع الآداب العامة .

ويصدق هنا على شعر عبد الحميد الديب ما يصدق على شعر مجايليه من الشعراء – أصحاب الثقافة الأزهرية فى أول الأمر الذين تجاوزوا هذا الأفق إلى ثقافة عصرية وآفاق أكثر انفتاحا واستنارة ، واهتمام بالقضايا الاجتماعية والوطنية – من أمثال أحمد مخيمر وطاهر أبو فاشا والعوضى الوكيل وأحمد عبد المجيد الغزالى (الذين عرفوا باسم جماعة شعراء العروبة التى كان يرعاها دسوقى أباظه باشا ويتعهد أعضاءها على المستويين الإنسانى والأدبى لفترة طويلة من الزمان) . وكان الديب صديقا لهؤلاء الشعراء وقريباً منهم بحكم النشأة والتكوين والمزاج والثقافة ، لكنه كان يختلف عنهم من حيث الحرص على عدم الانتماء أو الالتفاف حول شخصية بعينها مهما كبرت وعظمت ، وهو الموقف الذى عرّضه لمواجهات قاسية مع أعباء الحياة وتكاليفها ، لكنه آثر هذه المواجهة على الانضواء أو المشاركة فيما رضى به الآخرون .

ذلك أن عبد الحميد الديب أقرب إلى نموذج الثورى اللامنتمى أو الثورى

الفوضوى الذى يرى سعادته فى الهجوم الدائم والنقد اللاذع والخروج على المواضعات والتقاليد أكثر من حرصه على المشاركة والالتفاف والمؤازرة والتأييد . وربما كان هذا الموقف سببا فى امتلاء شعره بوهج افتقده شعر نظرائه ومجايليه ، أشعلته نيران المحارفة وشكوى الزمان والتمرد والاستعلاء وعدم الرضا والسخط الدائم والتغير من حال إلى حال ومن موقف إلى موقف ومن صديق إلى صديق . فأصبح شعره – فى جوهره – مرصدا لتقلبات النفس الإنسانية الثائرة المحبطة ، التى أيأسها تكسر النصال على النصال ووقع الخطوب على الخطوب ، فأصبحت كالحيوان الشرس الجريح المحاصر ، لا يمل التهديد بالمزيد من العدوان والإفتراس والتوحش بالرغم من أنه ينزف وينزف حتى الموت ! .

* * * *

يبقى أن ما قام به الأستاذ محمد رضوان من جهد فى تجميع شعر عبد الحميد الديب من مظانه ومصادره المختلفة وتحقيقه ، يستحق الإشادة والتنويه . فهذه هى المرة الأولى التى يطالع فيها القارئ شعر هذا الشاعر الظاهرة الذى أصبح جزءا من النسيج الحى للوجدان الشعبى بالإضافة والمبالغة والشطط فى الوصف والتناول ، وهو ما حدث من قبل لشخصيات عديدة شغل بها الخيال الشعبى وجعل من صورتها أقرب شبها بالأساطير كما حدث لشخصية الزير سالم وجحا وأبى نواس وأبى دلامة وغيرهم من الشخصيات الأدبية وغير الأدبية . وعبد الحميد الديب – نجح بفضل شخصيته – ذات العناصر المعقدة المتشابكة والطابع المأساوى وتجسيده لروح الصعلكة بمفهومها المتمرد الثائر وبفضل شعره النافذ كالسهام المدببة كأطراف الرماح الوالغ فى الحرمات والتقاليد وكل ما هو سائد ومألوف – نجح فى أن يصبح شخصية شعبية ، يضيف لها الرواة من خيالهم ومن إبداعهم ، ويلفقون له من المواقف والحكايات ، ومن الأشعار التى تُنسب إليه ولا ندرى هل هى من وضعهم أم من تأليفه ما جعل منه مثارا للفضول وإغراء دائماً بالتعرف والمكاشفة تماما كإغراء الفضيحة أو الحكايات العارية لذوى النفوس الراغبة فى المزيد ! .

من هنا فإن مهمة الأستاذ محمد رضوان لم تكن بالسهلة الميسورة ولا أظنه قد وضع بين أيدينا كل ما تركه الديب من شعر ، فبعضه مات بموت من كانوا يحفظونه ويروونه من أصدقائه وندمائه وفى مقدمتهم كان محمد مصطفى حمام وشوقى أمين وطاهر أبو فاشا . لقد كان بعض شعره – لخروجه على المألوف واصطدامه مع الذوق العام والحياء العام – محفوظاً داخل الصدور غير منشور أو مطبوع . ولقد كان هذا الشعر سبب شهرة الديب وذيوع صيته ، وحرص الناس على روايته والتلذذ به ، كما

كان فيه أيضا بعض ذُرى إبداعه وصوره البانخة التى لم يتضمنها شعره المسموح بنشره وتداوله . واختفاء هذه المساحة - غير المستأنسة - من شعر الديب ، ظلم لشاعريته وانتقاص من قدره . لكن ما الحيلة ، والذين كانوا يحفظون ويروون رحلوا ، والذي بقى بين أيدينا لا يمكن نشره أو تداوله . وهو موقف يثير قضية الحقيقة الكاملة فى مواجهة المواءمة . والمواءمة فى حال شاعر كعبد الحميد الديب تضر بشاعريته ضررا بليغاً ، وتُفقد صورته بعض قسماتها الأصيلة وملامحها الدالة . فلنتطلع إذن إلى عصر مغاير ، وزمن قادم يسمح بنشر ما لا يُسمح به اليوم ، وأن يبقى ذلك المسكوت عنه من شعره ، والذي لم يؤذن بنشره ، حياً ومتداولاً بواسطة المشافهة والحفظ الشخصى حتى يجئ أوان رد اعتباره وضمه إلى سائر حبات عقده !

لقد نجح الأستاذ محمد رضوان فى رسم صورة إنسانية وشعرية لعبد الحميد الديب أقرب ما تكون إلى حقيقته .

ولا شك أن قيام المجلس الأعلى للثقافة بنشر شعره محققا مضبوطا ، سيتيح لدارسيه مادة مغرية بالتناول العميق والدراسة الكاشفة والنظر الهادئ المتأمل ، كما سيتيح لقراء الشعر مادة شعرية حافلة مليئة بالتنوع والمغايرة والخروج على المألوف ، لأن صاحبها هو عبد الحميد الديب : الوتر النافر والصعلكة المبدعة !

فاروق شوشة

حكاية هذا الديوان
بقلم : محمد رضوان

لهذا الديوان حكاية . .. . .

فى منتصف الستينيات قرأت أول أشعار عبد الحميد الديب حين وقع بيدى مقال للشاعر الكبير كامل الشناوى عن الديب فى إحدى الصحف التى كان يكتب فيها الشاعر الكبير ومن يومها رحت أتتبع كل ما نشر عن حياته وشعره فى مختلف المصادر والمراجع خاصة مقالات صديقه الدكتور عبد الرحمن عثمان التى نشرها فى صحيفة الشعب تحت عنوان (عواء الذئب) فى نهاية الخمسينيات ، ورجعت إليها بدار الكتب بالقاهرة فيما بعد .

ثم عندما تركت المنصورة والتحقت بجامعة القاهرة عام ١٩٦٦ م وجدتها فرصة ثمينة لمراجعة الدوريات التى نشرت للديب وكانت توجد بفرع دار الكتب بالقلعة .

وقد بدأت مرحلة جديدة فى حياتى الأدبية حيث جعلت وجهتى وجامعتى دار الكتب فكنت أصعد كل صباح إلى مبنى الدوريات التابع لدار الكتب بالقلعة وأظل أراجع مختلف الدوريات من المجلات والصحف فى الفترة من (١٩١٥-١٩٥٠) لأستخرج منها كنوزاً ثرية لأعلام الأدب والفكر وكان اهتمامى الأكبر فى هذه الحقبة بثلاث شخصيات أدبية شامخة :

١ - عبد الحميد الديب .

٢ - زكى مبارك .

٣ - على محمود طه

ولكن كان تركيزى الأكبر على شعر عبد الحميد الديب الذى لم يسبق جمعه فى ديوان فى حياته أو بعد مماته واضطررت لمراجعة الصحف والمجلات التى نشرت أشعاره فى حياته والتى تغطى الفترة من حوالى عام ١٩٢٥ - ١٩٤٣ وهى فترة الإبداع والانتشار للشاعر البائس وكان جل شعره ينشر فى مجلات " الصباح " و (أبوللو) و(الرسالة) وصحف (البلاغ) و (الأهرام) و (مصر الفتاة) واستغرق ذلك منى ما يزيد على خمس سنوات كان كل اهتمامى فيها مركزا على كل ما يتصل بحياة هذا الشاعر المنكود وشعره الصارخ الذى كان يدور غالباً حول شكوى الزمان وتصوير مأساة بؤسه ومعاناته وثورته على ما يعانيه من ظلم وافتتان جسد صورها

من واقع حياته البائسة وآلام حرمانه الممض والتى جعلته يتعمق مأساة وطنه مصر فى ظل الاحتلال الإنجليزي والاستغلال الطبقى فأخذ يرسل صواعق غضبه على جبروت الاحتلال وظلم الإقطاع .

ولم أكتف بمراجعة المجلات والصحف التى نشرت للديب قصائده بل رجعت لعدد من الأدباء الذين عاصروه أمثال أحمد حسن الزيات وأنور الجندى وطاهر أبو فاشا .

ثم كانت خطوتى الأولى نحو الاهتمام بهذا الشاعر البائس فأصدرت عنه كتاب (مأساة شاعر البؤس) عام ١٩٧٦ ثم وجدت أنه من الوفاء لهذا الشاعر أن أجمع ديوانه خاصة أنه لم يصدر له أى ديوان يجمع اشعاره المتفرقة سواء فى حياته أو بعد مماته .

وكانت المهمة صعبة لكن ما شجعنى عليها هو ذلك الصدى الطيب لصدور كتابى عن الديب فى مختلف أنحاء الوطن العربى حيث وصلتنى العديد من الرسائل تطلب المزيد من اشعاره الشجية ، كما لمست هذا الصدى أثناء رحلاتى لمعظم البلاد العربية .

وبدأت أجمع ديوان الديب من مختلف المصادر والمراجع فتوافر لدىّ العديد من قصائده التى تدور حول حياته ومأساة بؤسه وقصائده الوطنية والسياسية وغيرها ثم وجدت له بعض المذكرات التى تضم اعترافات شاعر يرسل نفسه على سجيتها ويصور فيها بعض معاناته وذكرياته مع الحياة والناس وقد دونها فى سنواته الأخيرة (١٩٤٠- ١٩٤٣) فرأيت أن أضمها فى نهاية الديوان لتكمل صورة هذه العبقرية البائسة وعندما استكملت جمع آثاره الشعرية والنثرية تقدمت به ليطبع فى مشروع المكتبة العربية التابع للمجلس الأعلى للفنون والآداب (المجلس الأعلى للثقافة حالياً) وذلك عام ١٩٧١ .

وأثناء عطلة الصيف تلقيت فى قريتى بالدقهلية رسالة بتوقيع الشاعر عادل الغضبان باسم لجنة الشعر يطلب منى فيها مقابلته بمكتبه بدار المعارف بخصوص ديوان الديب وسافرت إلى القاهرة وقابلت الشاعر عادل الغضبان الذى طلب منى التنسيق معه ومع الشاعرين محمد مصطفى الماحى وصالح جودت بخصوص مراجعة الديوان ...

وبدأت جلسات مطولة مع الشعراء الثلاثة لمراجعة قصائد الديوان وتلقى الملاحظات وتصويب البعض واستبعاد البعض الآخر حتى اكتمل الديوان فى صورته الحالية .

ثم جاء عام ١٩٧٣ بعد أن التحقت بالعمل بمجلة الهلال القاهرية وأثناء لقاء مع

الشاعر محمد عبد الغنى حسن أبدى لى تخوفه من حدوث مشكلات مع ورثته إذا صدر الديوان فسحبت الديوان رغم أن هدفى الأول كان إنصاف هذا الشاعر المظلوم ويعلم الله كم أنفقت من وقتى وجهدى ومالى فى سبيل جمع هذا الديوان على مدى خمس سنوات كاملة صيفاً وشتاء . وسحبت الديوان وظللت أضيف إليه كل ما وجدته من آثار شعرية مجهولة للشاعر البائس . ومرت السنوات . . .

وعندما تقدمت بالفكرة من جديد للمجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٩٧ لطبع ديوان (الديب) وجدت تشجيعا من الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة فحزمت أمرى على تنفيذ هذه الفكرة التى طال انتظارها والتى تأخرت كثيراً وأرجع البعض سببها إلى النحس الذى لازم الديب وحظه السئ الذى وصفه بقوله :

حظى هو الأيكة الخرساء ذابلة
هو النسيم سموماً غير خفاق
هو السحاب جهاماً والندى أسناً
هو الضياء به موتى وإحراقى

ولكن أقدمت رغم كل ما قيل عن نحس هذا الشاعر المنكود الذى يذكرنا بحظ الشاعر ابن الرومى ونحسه إيماناً بعبقرية الديب وفنه الشعرى الفريد الذى تحدى به حساده :

زعم العواذل أن سعيى فاشل
والنحس توأم عيشتى ورفيقى
لولا مناوأة الزمان لهمتى
أزرى بنور الشمس نور شروقى

وحين نقدم هذا الديوان وفاء للشاعر البائس عبد الحميد الديب فإنما نقدم أيضاً صفحة تكاد تكون منسية من صفحات شعرنا المعاصر ولونا فريدا من أدب البؤس والصعلكة التى ابتكرها فيلسوف الصعاليك عبد الحميد الديب الذى وصفه أحمد حسن الزيات بأنه كان نمطاً وحده فى شعراء العصر الذى كان ظهوره رجعة إلى نوع انقرض من الشعراء الهجائين المستهترين المكدين الذين لم تهيئهم طبائعهم للعمل

الكاسب فأخلدوا إلى التبطل وحملوا عجزهم وعوزهم على لؤم الناس وظلم القدر والذى لم يعرف الحياة على أنها جد وكد وإنما عرفها على أنها لهو ولذلك قضى حياته البوهيمية لا ينام إلا على المسكر المخدر ولا يستقيظ إلا على الجوع والظمأ .

فإذا كان الزيات قد أدان شاعر البؤس فإن ظروف الشاعر نفسه ومجتمعه قد صنعت منه هذه العبقرية البائسة المنكودة .

ينفرد الشاعر عبد الحميد الديب بلون مميز فى شعرنا العربى المعاصر ، حيث يعده النقاد أبرز شاعر معاصر عكس تجارب حياته البائسة فى شعره بصدق وحرارة .

كان شاعرا فريدا فى زمانه ، وظاهرة لم تتكرر ولن تتكرر كثيراً . لقد عاش حياة غريبة مثيرة سجلها لنا فى لوحات فنية صادقة عكس فيها مأساة بؤسه ومحنة حرمانه ، وروى لنا فى صدق وأمانة حوادث معاركة مع شانئيه ، وتشرده فى الشوارع ، وهيامه للبحث عن لقمة خبز تقيم أوده ، وليالى ضياعه ، وحوادثه المثيرة فى السجن ومستشفى الأمراض العقلية ، والحانات الرخيصة . كل هذا وغيره رسمه لنا الديب بريشته المبدعة الخلاقة ، فكانت حياته فى شعره سلسلة من الاعترافات النابضة بالحرارة والصدق بما اتسم به شعره من دموع وأحزان وأسى عزفت لنا تلك القيثارة الحزينة أرق أنغام الأسى والحرمان وأشجاها فى شعرنا المعاصر .

لقد حرصت على تناول سيرة هذا الشاعر المحروم ، من خلال شعره الذي أتيح له أن ينشر اليوم كاملاً برعاية المجلس الأعلى للثقافة ، بعد أن عاش محروماً ، وظل شعره منذ وفاته (١٩٤٣) مبعثراً على صفحات الصحف والمجلات وفى ذاكرة معاصريه ولعل شاعرنا البائس كان لديه إحساس قوي بإهماله فى حياته وبعد مماته حيث قال :

لقد جهلوا يومى ولن يكرموا غدى
وياحر قلبى من شقائىَ فى أمسى

* * *

وإذا كان مفهوم الصعلوك هو الفقير الذى يواجه الحياة وحيدا ، وقد جردته من وسائل العيش فيها ، وسلبته كل ما يستطيع أن يعتمد عليه فى مواجهة مشكلاتها ، أى بمعنى أدق الفقر الذى يغلق أبواب الحياة فى وجه صاحبها ، ويسد مسالكها أمامه فإن عبد الحميد لم يكن مجرد صعلوك ، بل كان فيلسوف الصعاليك الذى

فلسف فقره وصعلكته وتمرده على الحياة والواقع والمجتمع (١) .

وإذا كان المجاهد الكبير الأديب فتحي رضوان يري أن الديب كان شاعرا موهوبا ، كان جديرا بأى يثرى الشعر العربي فوق ما أثراه بألوان فريدة غير مسبوقة ، وبمعان جديدة غير مطروقة ، لو أن الوسط الأدبى كان أكثر جداً ، وكانت الحياة العامة أعظم حظا من الاستقامة والقوة ، ومع ذلك فقد جاد علينا الديب ، بقطع جميلة ، وضع الديب بها نفسه على رأس معاصريه من الشعراء الذين كانوا فى مستواه ، فإذا كانت الشكوى من الدهر والتململ من ضيق الرزق ، والتفوق على نفسه المرة بعد المرة ، فى وصف فقره وبؤسه ، وهوانه على الناس ، وعدم احتفالهم بشقائه ، هو الموضوع المفضل عنده إلا أنه لم يكن الموضوع الوحيد الذى طرقه فقد تناول أمورا كثيرة ، منها ما هو وطنى ، ومنها ما هو إجتماعى ، ومنها ما هو وصفى ، وكان فيها جميعاً حارا متدفقا وفنانا مبدعا .

ويرى طاهر أبو فاشا أن عزوف الديب عن استكمال دراسته بدار العلوم وخلعه العمامة وطربشته » ، فإنه بذلك قد بدأ مسيرته مع الصعلكة والأنحراف والتشرد والجوع ، واطرد هذا اطرادا عكسيا مع أدبه وفنه ، فكان ينحدر فى حمأة الانحراف ، بينما كان شعره يرتفع ويسير ، واسمه يتألق كشاعر مبدع ، فانحدر وهوى كانسان ، وارتفع كفنان عبقرى !

* * *

وبعد فإن قيام المجلس الأعلي للثقافة بنشر ديوان عبد الحميد الديب إنما هو بمثابة تكريم لهذا الشاعر العبقرى ، وإتاحة الفرصة للنقاد لدراسة حياة شاعر البؤس وشعره الذى فلسف فيه أحزان الصعاليك وبؤسهم من واقع حياته البائسة المكدودة .

محمد رضوان

---

(١) راجع كتاب فيلسوف الصعاليك عبد الحميد الديب / تأليف محمد رضوان – مركز الراية – القاهرة ١٩٩٩

عبد الحميد الديب . . . سيرة حياة
(١٨٩٨ - ١٩٤٣)

فى كمشيش

ولد عبد الحميد الديب عام ١٨٩٨ بقرية كمشيش بمحافظة المنوفية . . ولد لأسرة فقيرة بائسة فشب وترعرع بين البؤس والفاقة والحرمان ! . .

كان والده السيد الديب فلاحا فقيرا متواضعا وكان يعمل فى مواسم القرية وأعيادها جزارا ليعول أسرته الكبيرة القانعة ويرد عنها الجوع والعوز .

وألحق عبد الحميد الديب بكتاب القرية فحفظ القرآن وجوده فى فترة وجيزة وكان فتى متمردا عنيفا صلبا له قصص وطرائف مع الشيخ ومع العريف . . وفى تلك الحقبة من حياته كان ينظم شعرا سانجاً يهجو به أقرانه ويسخر فيه من الشيخ ومن العريف والصبية يضجون حوله بالضحك وكثيرا ما سببت له هذه المقطوعات متاعب عدة فكان يضرب بالفلقة ولكنه لم يكف عن الإمعان فى هذا المجال الساخر . .

وكان كثيرا ما يستحم فى الترعة وكان ذلك محرما على صبية الكتاب فكان ذلك سببا فى إثارة الشيخ ضده وعقابه بالضرب " بالفلقة " ! .

وبسبب فقر الأسرة المدقع ألحقه أبوه بدكان أحد جزارى القرية ليعمل صبى جزار لقاء قروش قليلة تساعد فى دفع غائلة الجوع عن الأسرة . .

ولكن الشيخ بالرغم من غضبه على عبد الحميد كان يبدى إعجابه ببراعته الفائقة فى سرعة الحفظ وتجويد القرآن الكريم . . .

شب عبد الحميد الديب وهو يرى الفقر يحيط به من كل جانب وترسبت فى أعماقه صور أسرته البائسة وهى تعانى ضروبا من ألم الجوع والحرمان والبؤس .

وفى طفولته كان يشعر بمرارة فى أعماقه وهو يرى نفسه فى الأعياد يلبس ملابس رثه حافى القدمين جائعاً على حين بقية الصبية يمرحون ويلهون وهم يرتدون ثيابا نظيفة وأحذية لامعة ويطلقون الأغانى المرحة الطروب .

وهكذا شب شاعرا حزينا باكيا .

وكانت لأبيه أمنية عزيزة ، هى أن يرى ابنه شيخا مجاورا فى الأزهر يجلس إلى أحد أعمدته ويدرس العلوم ويفسر القرآن لتلاميذه ، ومريديه ! ..

وهكذا اتجه عبد الحميد الديب إلى مدينة القاهرة سنة ١٩٢٠ م ليلتحق بالأزهر الشريف وفى حى الحسين قطن بحجرة متواضعة بحى قصر الشوق . . .

وعاش حياة بائسة فى تلك الحقبة من حياته . .

وكان كثيراً ما ينام على الطوى لرقه حاله وضيق ذات يده . .

وفى الأزهر نهل من تراثه وقرأ أمهات كتب الأدب بالعربى فقرأ الأغانى والأمالى والعقد الفريد والبيان والتبيين وغيرها من شوامخ الكتب فى الأدب العربى القديم ! . . .

ومضت حياته بين دراسته فى الأزهر وكفاحه المرير فى سبيل لقمة العيش وكان صراعا مريرا وقاسياً استنفد جهده ووقته وماء وجهه . .

ثم صمم عبد الحميد الديب على الالتحاق بمدرسة دار العلوم العليا . .

وكان له ما أراد . . .

والتحق عبد الحميد الديب بمدرسة دار العلوم العليا . .

ومضى يقرأ أمهات الكتب ويقرأ روائع الشعر العربى القديم . . ولكنه لم يكن يتقيد بمنهج أو بدراسة بل كان يقرأ ما يحلو له وما يتذوقه فكان يقضى جل وقته بدار الكتب يقرأ ويدون ملاحظاته فى كراسة تلازمه يكتب بها روائع قراءاته فى الشعر العربى . . إلى أن كان ذات مساء . . . ساقته فيه المصادفة إلى بولاق ، وهناك جلس على أحد المقاهى يسترق السمع إلى شخص آخر كان يجلس فى الركن المقابل يلوك فى فمه شطرة من أغنية تقول : والله تستاهل يا قلبى . .

وظل يرددها عشرات المرات ولا يتمها ولاحظ الديب ذلك .. فتقدم منه وقال له بلا مقدمات :

– اقترح أن تتمها هكذا :

والله تستاهل ياقلبى ليه تميل ما كنت خالى

أنت أسباب كل كربى أنت أسباب ما جرالى

وكاد الرجل يطير فرحا فقام من فوره واحتضن عبد الحميد الديب وراح يغمره بالقبلات وقدم له نفسه فإذا هو سيد درويش ! . .

الطلل الباكى ! . . .

ودخل الديب فى دور جديد من أدوار حياته . . .

وجد سيد درويش فى الديب ضالته المنشودة . . .

وكان سيد درويش مسرفا سخيا فأغدق على الديب . .

ونسى الديب دار العلوم وانتقل إلى قصر فخم وبدأ يزاول حياة الترف والنعيم ولم يدرك الكارثة إلا يوم مات سيد درويش فجأة فى سبتمبر عام ١٩٢٣ . . .

فانقطعت بالديب أسباب الرزق وترك القصر ليقضى لياليه متسكعاً فى الشوارع هائما طول الليل حتي إذا ما انتهى به الطواف ذات ليلة عند القصر الذى كان يقطنه أيام سعادته وقف يناجيه بمرارة :

لـو أســـتطيع الـبكا يـاأيهـــا الـطلل
بـكيت حـــتى شـكـت من دمـــعى المقـل
أرى الحـــوادث آســـادا مـــقـــذفـــة
عـلىّ دون الـورى تعـــدو وتقـــتـــتـل
فكـم تصـــوّح عـــودى بعـــد نضـــرته
وكم خـــبـــا فـى دياجى عـــمـــرى الأمل
وكـم دعـت لى أمـى وهـى بـاكـــيـــة
وكـم دعـــا لـى أبى يـقظان يـبـــتـــهـل
وأجلـس الليل فـى صـحـــبى أسـامـــرهم
وكـلهـم بمجـــالى رقـــتـى حـــفـل
حـــتى إذا سلمـــوا لـلعـــود وانـصـــرفـــوا

سـريتُ جـوعـان يفـرى عـزمى الكـلل
كـأن حظى رحـيق الـدهر يشـربهـا
بكرا مـعـتـقـة ، والـدهر بى ثـمل . . !
فـإن تطـلبتُ عـيـشى متُّ من كـمـد
وإن تطـلبتُ حـينى يبـعـد الأجل (١)

وكانت تلك الصدمة العنيفة القاسية هى أولى الصدمات التى واجهت عبد الحميد الديب فى القاهرة وتركت فى نفسه آثارا قوية وشعورا عميقاً بالأسى والمرارة والسخط ! . . .

١ - أبوللو / أكتوبر ١٩٣٣ .

البائس ! . . .

وأصبح الديب شريدا صعلوكا من صعاليك الشعراء بلا مأوى . . يذرع شوارع القاهرة ليله جميعاً حتى ينال منه التعب فإذا أذن المؤذن للفجر هرع إلى المسجد ليتظاهر بالصلاة لينام ويصور لنا الديب تلك الحقبة من حياته في قصيدتة الرائعة : كيف أعيش ؟ . . يقول فيها :.

نهــــارى إمـــا نومـــة بـين مـســجـــد
غــــــرارا وإمـــــــا بالـطـريـق تـسـكـع
وأطوى عــصىّ الـليل فى الـقــرسـاعــيــا
ومن أيـن للأفـــاق فى الكون مــــهــجـع
أصـلى بأذكـــــار المرائى وقـلبــــــه
وبئـس صــلاة يحـتـــويهـــا تصنع ! . . .

وبدأ الديب حياة الصعلكة واللجوء إلى طلب المنح والعطايا من ذوى القدرة ومن الطرائف تلك القصة فى أحد مواقف الديب مع أمير الشعراء أحمد شوقى . . . كان اليوم مقرورا تلفح سمومه وجوه المضطرين إلى مواجهة العراء وكان الديب يصاحب زميلا له في محنته قضت المصادفات بأن يشاركه في ليله ونهاره فكلاهما غريب لا أهل له ولا سكن وكلاهما مهاجر بين أقطار الأسى لا يجف له دمع إلا إلى مدمع .. وظل الصعلوكان يذرعان الطرقات بلا جدوى وبلا أمل فى طعام ومأوى حتى مرا على (صولت) ندى أمير الشعراء أحمد شوقى ومجلس صحبته وحاشيته فقال الديب لصاحبه :

إن هنا من لو شكونا إليه لمسح دموعنا !

قال رفيقه فى البؤس : وى ... أفى الأرض أم فى السماء هذا الشفيق المنتظر ؟ ..

قال الديب :

– إنه أمير الشعراء شوقى بك !..

وعمد الديب إلى ورقة من أوراق جيبه فكتب فيها البيت الآتى :

هل أنت منجد من ضاقت به الحال   وقد تغرب لا أهل ولا مال ؟

ومضى الديب إلى شوقى متعمدا مخاطبة شوقى بالباشا إذ كان يهمه أن يصل بأميره إلي القمة من غير شك وما كاد شوقى يأتى إلى البيت حتى وقع تحته توقيعاً طرب له الديب وضمن له أن يأكل أكلة دسمة فى تلك الليلة مع رفيق بؤسه ! ...

فى جحر الديب

وقطن عبد الحميد الديب فى غرفة صغيرة بلا أثاث ولا فراش فى حى الحسين وكان يطلق على تلك الغرفة (جحر الديب) ! .....

ويرسم لنا عبد الحميد صورة طريفة لغرفته في قصيدته التى يقول فيها :

أفى غـــرفـــتى يارب أم أنا فى لحـــدى ؟..

ألا شـــدَّ مـــا ألقى من الـزمن الـوغـــد

وهـل أنا حى أم قـــضـــيت ؟ .. وهـذه

إهابة إســرافــيـل تبــعــثنى وحــدى ؟ . .

لقــد كـنت أرجــو غــرفــة فـأصـبــتــهــا

بناء قـديم العــهــد أضــيق من جــدى

فــأهدأ أنفـــاســى يكـاد يـهـــدها

وأيـســر لمس فى بنـايتــهـــا يُـردى

أرى النـمل يخــشى الناس إلا بـأرضــهـــا

فـــأرجـله أمـــضى من الـصـــارم الهندى

تســاكننىَ فـيــهـــا الأفــاعى جـريئـةً

وفى جوها الأمراض تفتك أو تعدى
تراني بها كل الأثاث فمعطفى
فراش لنومى أو وقاء من البرد
وأما وساداتى بها فجرائد
تجدد إذ تبلى على حجر صلد
تعلمت فيها صبر أيوب فى الضنى
وذقت هزال الجوع أكثر من غاندى
جوارك ياربى لمثلى رحمةٌ
فخذنى إلى النيران لا جنة الخلد

وكان الشاعر البائس عبد الحميد الديب يعجز عن سداد إيجار غرفته المتواضعة على الرغم من ضآلته حتى أصبح صاحب البيت عدوا بالنسبة له وكان الشاعر يلقى صنوفا من الإذلال والمهانة بسبب مماطلته فى تسديد الثمانين قرشا أجرة الغرفة التى يسكنها وقد صور ذلك فى قصيدته التى يقول فيها :

ثمانون قرشا أهلكتنى كأنها
ثمانون ذنبا فى سجل عذابى
طويت لها الدنيا سؤالا وكُدْيةً
فما ظفرت نفسى برد جواب
لعنت كراء البيت كم ذا أهنتنى
وأذللت كِبرى بين كل رحاب
لأجلك إما أن أبيع كرامتى

وإمـــا أفـــديّهـــا ببـــيـع ثيـــابـى

فـــفـى كل شـــهـــر لـى عـــواء بموقف

يبـــاعـــد عنى أســرتـى وصـــحــابـى

وطول ليـالى الشـهـر تهـتـاج مـضـجـعى

مـــخـــافـــة رب البـــيـت يـطرق بـابى

يـطالـبنى فى غـلظـة فـــأجـــيــبـــه

إجـــابـة من يـرجـــو يـداً ويحـــابـى

ألا مـــسكن مـلكى ولـو بجـــهــنـم

فـــأكـــفـى من الأيـام شـر حـــســابى ؟

وقد سأله أحد أصدقائه ذات يوم : كيف أنت ياديب والدنيا اليوم ؟ فقال الديب فى تهكم :

يقولون إنها ابتسمت لى ! .. فقال الصديق : إذا فرض أن الحياة أقبلت عليك وفتحت ذراعيها وابتسمت لك كما يقولون وشعرت بابتسامتها فما موقفك منها إذ ذاك ؟ ..

فقال الديب فى آهة حزينة : أوكد لك أن الشقاء يلازمنى فأفارقها ! ... وكان الديب لا يملك إلا حلة واحدة رثة مهلهلة واتفق ذات مرة أن خلع عليه أحد أصدقائه حلة جديدة ولعلها المرة الوحيدة فقال له الشاعر كامل الشناوى مداعباً :

أراك متنكرا يا ديب ! ..

وكان الديب قد شرع قبيل وفاته في جمع قصائده فى ديوان أزمع أن يسميه (ثورة المحروم) ولكن الموت لم يمكنه من تحقيق أمنيته .

الديب ... والخمر

اندفع الديب إلى الخمر ينشد فيها السلوى والنسيان بعد أن قوبل بضروب من الجحود والانكار وأساليب شتى من العدوان والافتئات وكان يسعى إلى الحصول على بضعة قروش ليقضى بها شطرا من الليل فى حى الزهار وشطره الأخر بين الكأس والوجوه المليحة فى حانة (الحاخام) بحارة اليهود خلف حى الموسكى وكان يعيش ساعات على حد قوله فى مثل أطياف الجنة .. فقد كانت الحانة فردوسه المنشود فإذا أستبد به الخدر ارتمى تحت حطام منزل مهجور أو استلقى فى ظل جدار متداع يحلم بالسعادة المنشودة والمجد الموهوم ويسبح فى خيالات وأوهام ساحرة مفعمة بالنشوة والسعادة والجمال ...

ثم يستفيق فيصطدم بواقعه الجهم وحياته المجدبة فيشكو ويسخط ويتمرد ! .. ويهتف الديب بفلسفته الأبيقورية الماجنة فى تلك القصيدة الجريئة الصارخة : (١)

هات المدام فدين الله تيسير
وأسعد الناس مخدور ومخمور
هات المدام ولا تعرض لمتربتى
مهما غلا العيش لم تغل القوارير
فديتها حانة الحاخام هادئة
سكرى يعربد فيها الحسن والنور

ويرسم لنا شاعر البؤس صورة نثرية طريفة عن بعض نوادره فى حانة الحاخام التى كان يرودها بأسلوب مشرق رقيق جذاب ...

كتب الديب تحت عنوان (الخمر والشعر) يقول :

(ها نحن على أبواب الحانة نطالعها فى هزج الصباح وقد تندت ملابسنا بطل الندى وباكرنا طرق المدينة كطليعة الفداء فى الحرب الطاحنة : نحن أبناء الأعيان .

---

(١) – مجلة الصباح ٢٩ مارس ١٩٤٠

« بلى ... إنه لحق إذا استثنيت شخصي الضعيف فلست من قيس ولا قيس مني ، ولست من أبناء الذوات أو الأعيان ولكني أملك وجاهة أخرى ليست من هذا النوع اللامع البراق . ذلك أنهم يعرفونني بالشاعر بل يقولون : شاعر البؤس .. (ولا أكذبك أننا جميعا كأننا خلقنا لوجه الكأس والشيطان أجمعنا أمرنا عشاء أن نشربها صبوحا وأن نسبق منبه الخمار إلى إيقاظه بأصواتنا الجائعة إلى الكأس ...

(لقد استيقظ الساقي وفي هدب عينيه بقية نوم وأحطنا بالطاولة التي اعتدنا الشراب حولها وما فينا باخل أو ضنين كل على صديقه ..

(لقد خاب أمل الصحاب فيّ إذ أسروا فيما بينهم أن يسقوني الكأس صبوحا لأقول قطعة غنائية .. تخيلوا أنها ستكون أغنية الجيل ..

(واذا فتشوا لي سريرتهم في موقفي وأرادوني على القول عييت حتي عن نظم سطر واحد من بيت . لقد حسبوا أن الخمر وحمياها تلهم الشاعر أو تفتح له مغاليق الموهبة .. (لا .. لا ... هذا رأى من لا يقدر للشعر منزلته من السماء وموضعه من الوحي والالهام) تناوبا لومي على هذه البكاءة وهذا العي والحصر .

قلت : اتركوني أغفو سنة من النوم على كرسي أقول بعدها بيتاً أو أبياتا وأسلمت نفسي إلى غمرة السكر في حال أشبه ما تكون بالنوم واستيقظت أنشط من رابح النمرة الأولى في اليانصيب ...

« وإذ ذاك استطعت أن أنظم القطعة التالية ومطلعها : (١)

كلما أقبل ليل أو نهار
شاقني العهد وشاقتني الديار
وشجاني سحره هذا المزار
والليالي الخرد الغيد النضار
بعد طول البين هل يجمع شمل ؟
هو نار هو وجد هو قتل
ياحبيبي كيف أنجو كيف أسلو ؟

---

(١) – مجلة الصباح ٢٩ مارس ١٩٤٠

لقد نجحت فى نظم القطعة ولكننى نظمتها وأنا صاح غير مخمور الحق أن الخمر عدو للشعر ومن الخطأ الشائع أن الشعر يواتى في حالة السكر)

هذا هو رأى الديب فى الشعر والخمر ...

وللديب قصيدة طريفة بعنوان (فى الحانة) يقول فيها :

يـاحــــانـة مـن طلاهـا تـشـــرب الكاس
وفـى دجـنّتـــــهــــا لـلـقـلب إيـنـاس
شـــذى المدام وأرواح الـســقـــاة لهـــا
كـــالـروض عطّره الـنـســـريـن والآس
ياشـــادنـا فى يـديه الـكـأس فـــاتـنـة
كـــأنما خـــمــرها حـب وإحـــســـاس
إلىّ فـــاتنـة الندمـــان واســتـبـــقى
هذا الـغـــزال فـمنك القــدّ مـيـــاس
والـنهـــد ؟ .. ياويـلـتى من حـــالم هزج
إلـى الـتـــــوثـب مـنـه يـرفـع الـراس
يـالائمـى فـى الطـلى أفـــرغـت مـنك يـدى
فـــأنـت فى حـــرمـــات الخلـد دســاس
قل لـلخليـن من يصـحـون مـن غـســقى
أنـتم عـلـى طـهـــركـم بـالماء أنجــاس

كل العـــبــاد سكارى فى مــــعـــيــشــتـــهم
والـســكـر كـــــــالخلق أشكـال وأجـنـاس

وقد تعرض الديب كثيرا للسجن بسبب إسرافه فى السكر ولم يكن يخاف شيئا إلا الشرطة فكان ينكر فى حرارة أنه يتعاطى الكوكايين بالرغم من إدمانه له وراح يبث شكواه عندما نعي عليه بعض الناس إغراقه فى السكر ومعاقرة الخمر وشم الكوكايين فى قوله :

أفـــــاطم إن الـنـاس قـــــد أكلـوا عــــــرضى
وبت لـعـــيـناً فـى الســـمـــوات والأرض
يقـــولون شــمّـــام ومـــا شمّ مــــعطسى
ســـوى الوردة الفــيــحـــاء والنرجس الـغض
مـــعـــاذ شـبــابى أن يـبـيت تـضـيـــره
هشــيـــمـا وأن أقـضى على جـسـمى البضّ
أأيس بـيـــاض الكوكـــايين مـــبـــشـــرا
بأســـودعـيش فى غـــيـــاهبــه أقـضى

وهكذا اندفع الديب إلى الكأس وإلى شم الكوكـايين وإلى حــيــاة الليل والصخب والعربدة وراح يذوب تدريجيا حتى أشرف على النهاية ....

الديب ... فى السجن ! ...

دخل الشاعر البائس السجن غير مرة بتهم مختلفة منها التشرد والصعلكة والسكر البين وعدم أداء الحساب وشم الكوكايين والعربدة ! .. وله فى كل ذلك قصائد كثيرة وكان يخالط فى السجن الشذاذ والأفاقين وعتاة المجرمين فنظم قصيدة يصف السجن يقول فيها :

لـه بـفــــــؤادى لـذة ووجـــــــــيــب

ومنه لـقـلـبـى بـلـسـم وطـبـيـب
مـلأت به الـدنيـا هـوىً وصـبـابة
وهـلهـلـت فـيـه الحب وهـو جنيب
ومـا صـدَّ عـنى أو لوى دون حـاجـتى
ولكـن أخـلاق الجـمـيل غـريـب
تـهـدهده كـالـطفل إن أنّ أوشـكـا
ويغـرى بـك الأشـجـان وهـو طروب
لقـد شـبـعت فىّ الأعـادى شـمـاتةً
وبت ومـالى فـى الوجـود حـبـيب
وأصـبـحت مـسـجـوناً بدار بـعـيـدة
تجـافى بهـا خلّ وبان قـريـب
أأصـبح مـسـجـونا ومـا كنت مـذنبـاً
ولا حـزبتنى فـى الحـيـاة ذنوب ؟
وإخـوان سـجـن قَـبَّـحَتْ من وجـوهـهم
همـوم تَـوالى دائـمـاً وخـطوب
فـمنظرهم أضـحـوكـة كلبـاسـهم
ومـخـبـرهـم فى الحـادثات رهـيب
بـنو آدم مـن حـولـنا أم عـقـارب

لهـــا فى الحـشـــا قـــبـل الجــســــوم دبيب ؟
لقــد كنت فــيــهم يــوسف الســجن صــالحــا
أفــــســـر أحــــلامـــــا لهم وأصــــيب (*)

وكان دخوله للسجن مادة ملهمة لشعره المفعم بالألم والحزن والمرارة مما أضاف لشعرنا العربى المعاصر لونا جديدا وطريفا قل أن يوجد له نظير أو شبيه ! ...

(*) مجلة الصباح ٢٦ يونيه ١٩٤٢

فى عالم الجنون ! ...

اقتيد الديب ذات مرة للسجن بتهمة السكر والعربدة فسأله الضابط :– ماذا تكون اليوم ؟ ...

فأراد الديب أن يبرهن له أنه فى تمام وعيه وإدراكه فقال :

– اليوم السبت وغدا الأحد وأمس الجمعة وبعد غد الاثنين ! ... فظن الضابط به الجنون فأمر بتحويله إلى مستشفى الأمراض العقلية وكان الديب فى تلك الحقبة فى حالة يرثى لها .. فقد كان إنسانا محطما غائباً عن وعيه لا يكاد يفيق ولكنه على أية حال لم يكن مجنونا . .

وقد استلهم الديب من هذا المستشفى قصيدة ساخرة يقول فيها :

رعـــاك الله مـــارســـتـــان مـــصـــر

فـــــإنـك دار عــــــقـل لا جـنـون

حـــويت الـصـــابرين عـلى الـبــلايـا

ومــن نــزلــوا عــلــى حـكـم الــسـنـين

ومـن هـبطـوا بـهـم من صـــرح عـــز

إلــى أغـــــــــــلال إذلال وهــون

تـراهم خـــائفين فـــإن أثـيـــروا

بـهــــزلة فــــآســـــاد العـــريـن

وإن ســـئـلوا عـن الأســـرار كـــانـوا

كـــمـن أخـــذوا عـن الـروح الأمـين

(*) – مجلة الصباح / ٢٦ يونية ١٩٤٢

وربَّ مهرج منهم بقول

يريك الجد فى ثوب المجون

فإن يغضب بقارصةٍ تباكى

فأبكى العين بالدمع الهتون

يعذبه عبادك كل يوم

ويصلى الضيْم حينا بعد حين

وكم فى مصر من غِرّ غبىٍّ

تمتع بالجميل وبالثمين

ولو عدلوا لأمسى خانكيا

يعذب بالشمال وباليمين (*)

وكانت للفترة التى قضاها الديب فى المستشفى آثار حسنة بالنسبة للشاعر البائس فقد استرد صحته وكاد ينسى المخدر ... وعاد لوعيه من جديد ...

(*) – الصباح – ١٩ يونية ١٩٤٢

ثورة المحروم ! ...

قوبل الديب بضروب شتى من الجحود والغَبْن والانكار ، فى أساليب شتى من العدوان فصور عراكه مع شانئيه ووقوفهم له بالمرصاد وإقامتهم العقبات فى سبيله :

إذا قلت قـــديس يقـــولون ســـــادر
وإن قلت حىّ يحـــمـلونى إلى رمـــسى
تحـــديت أيامى وقـــومى بوحـــشـــتى
وكـم وردوا مـــنى مـــنـاهـل للأنــس
لقـــد جـــهلوا يومى ولن يكرمـــوا غـَدى
وياحـــر قلبى من شـــقـائىَ فى أمـــسى

وهكذا يبدو لنا جليا يأس الشاعر المرير من قومه فهو لا يطمع فى أن يكرموا غده ماداموا قد جهلوا يومه وأنكروا أمسه .

وانقطعت بالديب أسباب الحياة العائلية المطمئنة ، فهو يشعر بغربة موحشة ولاسيما فى الأعياد والمواسم . . .

كانت أقسى أيام تمر على شاعر البؤس فى القاهرة هى أيام الأعياد فقد كان يرى جيرانه يرتدون ملابس جديدة نظيفة وأحذية لامعة ويتزاورون فى طرب وبهجة وسرور يشهد الشاعر ذلك وهو ذاهل عن نفسه ويتلفت فيرى نفسه : رثاثة وإفلاس وأحزان وغربة ووحدة ودموع !

ويصف لنا فى يوم العيد كيف تجافاه الناس ونبذه الأهل والأحباء :

من زائرى بالعـــيـــد ؟ من بالبـــاب ؟
وهمٌ فـــقـــدتُ به رشـــيـــد صـــوابى
مـن ذا يطالع ســـحنةً مُـــغـــبـــرةً

فكأنهــــا لـعنت بكل كـــتـــابِ
والناس مـــهــمـــا أســعــدوا فى عــيـــدهم
صـــرعى خـــراف فى ســـعـــار ذئاب

وكان العيد يقبل دائماً والديب مفعم بالمرارة والحسرة والألم بسبب شدة فاقته وبؤسه وشعوره بالغربة الموحشة وسط أمواج الفرحة والابتهاج والطرب فى العيد . . .

فكان يستقبل العيد بمثل هذه الأبيات الحزينة الباكية :

عـــيـــد يطالـعنى والعــيش منكـود
لأنـت يوم الأسى والحـــزن ياعـــيـــد
يـجـــدد الناس من لبس ومن فـــرح
وعـنـدنـا للأسى والـهم تجـــديد
المسلمـــون وقـد عـشنا خـيـار همـو
كـــأننا بينهم فى عـــيـــدهم "هـود"
لو أنصف الناس مـا ضـحّـوا بشـاتهـمـو
بل كـان قـربانهم للمـعـتـفى جـود ... ؟

ولشاعر البؤس طرائف كثيرة فى أيام الاعياد أروى واحدة منها :

كان للديب صـديقان جند الدهر لهم ثالوثا من البؤس والعطل وعدم السكن والاشتغال بالأدب ولقد تواصوا أن يقسم كل منهم ما يصيبه بقلمه أو بغير قلمه من الرزق بينه وبين صاحبيه وأقبل عيد الأضحى فهاجر كل منهم فى الجهاد لكسب المال حتى يمكن أن يشاركوا الأمة فى مهرجانها بالعيد ! . . .

وسوّلت للديب نفسه ثم صحت عزيمته على أن يكون سمسارا فى سوق الخراف ورأى الجو مهيئاً للاشتغال كوسيط فى توصيل النعاج والخراف إلى حوزة الموسرين الذين يعدون العدة لمسرات العيد بخروفه المحبوب !

ووقف الديب فى حلقة باب الخلق بحلته الأفرنكية يغشاه بعض الحياء قبل مزاولة العمل ثم أقدم وأخذ يتابع المساومة لأحد المشترين الأثرياء من المعلم محمود بأوصاف تحسين للخروف وإطراء لذمة المعلم ومع أن هذا الخروف كان كالكبش العجوز فقد نعته بأنه لم تمض على ميلاده أشهر ..

وكلما قال الديب كلمة نظر إليه البائع نظرة الجاهل بمأربه وأنكر المشترى مبالغته فى نعت الخروف والحق أن الديب أكثر من الثرثرة التى لم يراع فيها كبرياء البائع ولم يراع فيها كذلك رغبة المشترى في رخص السلعة ! ..

فصاح المعلم فى غيظ وحنق فى وجه الديب :

– وما شأنك أنت ؟

فقال الديب :–أنا سمسار ... سمسار هنا ! ..

فقال المعلم :– إنى لم أرك قبل اليوم فى أى سوق من أسواق البهائم !..

فتمسك الديب بدعواه واستعدى التاجر عليه اخوانه الذين أنكروا وجود مثل الديب إلى جوار الخرفان وأخيرا نادوا الشرطى فجاء ومعه مخبر الحلقة فى ثوبه التنكرى وطلب من الديب إبراز رخصته وإثبات شخصيته وعمله فأسقط فى يد الديب فهو لا يملك رخصة وليس له من عمل اللهم إلا تلك القصائد التى كان لا يدرى طريقا للانتفاع بها .. وأخيرا سيق إلى الشرطة وكلهم مرتاب فى أمره وكلهم متمسك بوجوب التحرى عن حقيقة ذلك السمسار المجهول الدخيل ! ..

وحين عرف الضابط الدعوي وسمع من عبد الحميد الديب دفاعه عن نفسه ضحك ضحكا جهيرا متواصلا إذ كان يعرف الديب من بعض المواقف السابقة التى جمعته واياه ثم قال : اتركوه لى .. وسأعرف شغلى معه ! ..

وأجلسه وأكرم وفادته ثم صرف الديب بعد أن نصحه بالبعد عن مواطن الشبهات ! ..

وذهب الديب إلى فندقه الذى تواعد هو وصديقاه على المبيت فيه وقد كان من فنادق الله المباحة ، كان مسجدا مجاورا للأزهر ! ..

وألفى صديقيه يرتقبان عودته لعله يكون قد أصاب قروشا تدفع عنهم غائلة الجوع وإذ أبصراه مطأطئ الرأس على غير عادته عرفا كل شئ وتأكدا أنه على مثل حالهما من المسغبة ! ..

وجاء صباح اليوم التالى والديب قد أظلمت الدنيا أمامه يرى الناس حوله فى

ثيابهم الجديدة المختلفة الألوان يضجون بالتكبيرات التقليدية المعروفة ينظر إليهم كأنه غريب عنهم وإذ انتهى خطيب المسجد من خطبة العيد وقف عبد الحميد الديب على أثره وأنشد هذه الأبيات :-

ياذابحى الشـــاة فى أفــــراح عــــيـــدكم
هلا بعـثـتم لـنا من طـبـخـهـــا المرقـــا ؟
يـالابـسين جـــــديدا مـن ثـيـــــابكـم
هلا بعـــثـــتم لنا المتــــروك والخلقــــا ؟
ردوا عـلينـا شــــبـــــاباً كـم ذوي وذوى
وشـــيـبكم يانـع يسـقـيكم غـدقــا !

ولم يفهم الناس على أصح تقدير مـا يرمى إليه الديب ... فانصرفوا ! ... وبقى الديب على حصير المسجد طول اليوم ، يوم العيد يأكل الهم والهم يأكله ! ...

وهكذا انقضى هذا العيد الحزين على شاعر البؤس ! ..

وكان فى الأعياد يردد دائماً قصيدة المتنبى الشهيرة :

عـــيـــد بأية حـــال عـــدت يـا عـــيـــد
بما مـــضى أم لأمــــر فــــيك تجــــديد ؟

ومن طرائف الديب .. أنه كان جائعا ذات ليلة ... وأشرف على الموت جوعا ... فتلفت يمينا ويسارا عن أي شئ يقتله أو يأكله .. وشاهد مطعما شعبياً فى الحى الحسينى على وشك الإغلاق ، فدخله مقتحماً ، وهو منكوش الشعر منتفخ الأوداج أحمر العينين وصاح فى صاحب المطعم :- هات فرخة بأرز وخضار وموز وبرتقال ! .. وراح يطلب عدة أصناف والرجل يحملق فى وجهه بذهول فصاح الديب به :

- بسرعة .. وإلا أحرقت لك المطعم ... وسلقتك فيه ! ...

فأسرع الرجل خوفا على حياته وعاد بكل ما ذكر الديب فالتهم كل ما طلبه فى زمن وجيز وحان وقت الحساب ولم يكن مع الديب سوى قرشين فقط ، فأخرج مطواة

كبيرة من جيبه وأخذ ينظف بها أسنانه والرجل يلاحظه فى ذعر من بعيد ثم التفت الديب إليه قائلا :– هل تعرف صاحب المطعم الذي أمامك ؟ .. إنه لص ونصاب .. بالأمس أكلت عنده وكان الأكل مثل ما أكلت اليوم وأكثر قليلاً .. أتعرف كم طلب اللص ؟ عشرة قروش فقمت إليه وقطعت أذنيه وأطعمته إياهما ! ..

فتحسس الرجل أذنيه في هلع وذعر ثم قال الديب بعد تمهل :

– كم حساب هذا الطعام ؟ .. فأجاب الرجل فى ذعر :– كفى يابك قرشان !

فدفع الديب قرشين وخرج يتهادى فى زهو وإعجاب ! ..

* * *

ولكثرة ما صادف الديب من الهوان والأذى وكواذب الامال والعهود والوعود تأكد لديه أن الناس قد أجمعوا أمرهم على حربه ومناجزته ، حتى ليخفوا نوره كلما حاول اظهاره ولكنه مع ذلك لا يرى فى الناس عدوه الحقيقى ، وإنما هو الدهر ذلك العدو اللدود وما الناس إلا آلات للدهر تستجيب لكل ما يأمر به من إيذاء وتعذيب للديب ! ..

وهذا تجسيم للوهم ولكن الديب كان يؤمن به إيمانا قويا عارما ! ..

وكانت للديب طرائف كثيرة مع أصدقائه .. وكان من عادة الديب أن يجلس فى مقهى الفيشاوى بحى الحسين وكان يطلق عليه « الحى اللاتينى » كما أنه كان يجلس على بار اللواء مع أصدقائه من كبار الشعراء والأدباء .

وكتب أحد الأدباء سنة ١٩٣٤ فى إحدى المجلات يقول عن الديب ساخرا :

(ودعنى أحدثك عن شاعر ضئيل الجسم ناحله ، شاحب اللون حائله ، يابس العود ذابله ، قد ارتسمت صفرة الموت على وجنتيه ، وأطل عزرائيل من فتحات عينيه وضؤل جسمه بقدر ما ضؤل اسمه ، فلو اشتدت به الريح فى يوم عاصف لهصرت عوده كما تهصر أعواد الشجر أو ذرت جسمه كما تذرو الهشيم والمدر ، وعلى ثيابه من الأقذار والغبار ، ما يكفى لسد آبار وردم أنهار ، وهو مع ذلك يرى أن الأرض لم تحمل أجمل منه شكلا ولا أخف ظلا ويحسب أن الله إنما أبدعه سحرا للناظرين ، وفتنة للعالمين ..) قرأ الديب هذا المقال فجاء ثائرا إلى مقهى الفيشاوى حيث كاتب المقال وهو يكاد يتميز من الغيظ ، وجعل يرفع ذراعيه فى الهواء متوعدا وقال :

– والله لأنتقصن أطرافكم ... والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب !

حتى إذا ما عمد أصحابه إلى إرضائه بوسائل الإرضاء المختلفة التى كانت هيِّنة

عليهم ضحك وعاوده المرح والسرور ، ثم ما لبث أن تقلص وجهه وكاد الشرر يتطاير من عينيه ، وانتحى بنفسه وبقلمه وأوراقه ناحية ، وكتب هذه الأبيات التى تفيض أسى ومرارة :

تملـون من وصلـى ويغـــضـــبكم صـــدى
فـــواحـــيـــرتى بـين العـــداوة والـود
عـــداوة ذى حــــقـــــد وودّ مـنافـق
أأحــيــا صــريعــا للـنفــاق وللـحـقـد ؟..
شــربـت كـلا الكـأسين ســمّـــاً وعلقـــمـــاً
فـــلاعـــون مـن إلف ولا رفـق من ضـــدّ
ويـلهـــو بـى الأقـــران لهـــوا كـــأنما
أنا الكـرة الهـوجــاء تخطـفـهـــا الأيدى ...

وكان بعض معارفه يتخذون منه ملهاة وهدفا لفكاهتهم وسخريتهم .. فذات يوم دعاه بعضهم إلى طعام ثم أخلفوا موعدهم وتناولوا الطعام دونه ، ثم جعلوه حديث المائدة وفكاهة المجلس ، فبلغه ذلك فنظم هذه القصيدة اللاذعة :

حظـى ومـــصـــرعـــه فى لـين أخـــلاقى
وفـــيض عطـفى علـى قـــومى وإشـــفـــاقى
ومن حــبــتــه الطّلا أخــلاف نشــوتهـــا
عـــدا على الكأس طـورا أو على الســـاقى
بين الـنجـــوم أناس قـــد رفـــعـــتـــهـــمـــو
إلى الســـمـــاء فـــســـدّوا بـاب أرزاقى

ثم يشير إلى مجلسهم وطعامهم وما تناولوه من الحديث عنه فقال :

لم أدّر مـــاذا طعـــمـــتم فى مـــوائدكم
لحم الـذبيـــحـــة أم لحـــمى وأخـــلاقى ؟ ..

زواجـــــه ! ...

تزوج الديب فى صيف سنة ١٩٣٩ من أرملة شابة تدعى السيدة إحسان أحمد كانت تقطن الطابق الأعلى الذى به حجرته وكانت امرأة وحيدة تعول طفلين أعجب بها الديب وأحبها ودعا الديب أصدقاءه إلى حفل عرسه فظلوا وقوفا فى الحجرة الخالية من المقاعد وكان الديب يرتدى ملابسه الرثة البالية وقدمت جارة عجوز للضيوف قهوة سادة فشعر الديب بالمرارة والأسى فنظم قصيدة « فى مأتم عرسى » :

لقــد عللتنى بالرضـــا عن خـصــاصــتى
وقـــالت مــعـــاذ الصـــبـــر أن أتـألما
فلـمـــا رأت مـــبكـاى ريعت وأقـــبـلت
تبكى مـــعى عـــيـشـــا وحظا تجـهـــمـــا
فـــيـالـك عـــيـشـــا كلمـــا هم صـــاحب
يواســى عليـــه هـلـهل الـدمع مـــرغـــمـــا
أقـــام لى الأصـــحـــاب عـــرســـا فـــمـــذرأوا
به مـــحـنتى تـشـــدو أقـــامـــوه مـــأتما
ولســت بمخـــتـــار الـشـــقـــــاء أو الهـنا
فطـول حـــيـــاتى أشـــرب الكأس منهـــمـــا

ولم تمض به أشهر حتى برمت به زوجه (إحسان) بسبب حظه العاثر وبؤسه واندفاعه إلى الخمر والمخدر يدفن فيهما همومه وضاقت يد شاعر البؤس عن إعالة زوجته وطفليها بالرغم من محاولاته لإدخال البهجة والسرور على أسرته الصغيرة إلا أن حياته العائلية كانت مضطربة قلقة ورغبت زوجه إحسان فى الطلاق ، فنظم الديب هذه القصيدة الباكية الحزينة (*)

(*) الصباح – ١٥ مايو ١٩٤٢

أجـــدك أضنانى حـــديث رحـــيلى
وما غـيـر يوم البـعث يوم قـفـولى
ظننتُ مَـتـاع العـرس يـبـقى إلى غـد
وأنَّ بُكورى بينه ومـــقـــيلى
وطـوَّفتُ بـالأحـلام نشـوان سـادرا
لـعـلى بـلـذاتـى أبـلُّ غـليـلى
لقـد رضـيت بى بعلهـا ، وكـأنهـا
تـطـلَّبت البـلوى بكل سـبـيـل
رأت فـجـأة كـأسى تفـيض لـكأسـهـا
مـعـيـشـة أفّـاق وضـعف ذليل
فـقـالت وألفت سـحنتى فى تغـضُّنٍ
مـعاذ الرضـا أن يُسـتـشـاط حليلى
فـقلت حنانيك اغـفـريهـا جـريمة
فـمـا عُـرفَ الشـيطان زوج بتـول ! ..
رأيتـكِ لم يخلـق سـواك فـريدة
تفـردت فى حُـسن وفـيض قـبـول
فـأقـبلتُ لصـاً للجـمـال أصـيـبُه
وبعض المنى يُرجى بغـيـر عـقـول

فأصبحت قرباناً لحبي وفاقتي
ضحية عهد بل ضحية جيل

ولم يستطع الديب الوفاء بمتطلبات أسرته الجديدة ، فاضطر مرغما لطلاق زوجته وقلبه يبكي قبل دموع عينيه :

على الرغم مني أن أطلق زوجتي
ومالي بها في الكون أي بديل
ولكنني أخشي على الحسن فاقة
فما اخضرَّت الدوحات بين مَحِيل
إذا قلَّ مالي في هواها فإنما
وفائي لها في العيش غير قليل !

وطنية عبد الحميد الديب

عاش الشاعر عبد الحميد الديب فى ظروف اجتماعية وسياسية سيئة . رأي الاحتلال الانجليزى وثار عليه ... ورأى الظلم الإجتماعى وتمرد عليه ... ورأى الجبن والخور من الحكام وضاق به .. ورأى تكالب الأحزاب على السلطة والحكم وقاومه ... كان ذلك فى الثلاثينات وفى بداية الأربعينات ... كان متمردا أبدا ... ثائرا دوما ... وهكذا ثار الديب على كل تلك الأوضاع السيئة بعنف وقوة عارضة لا يرهب قوة باغ أو بطش أثيم ...

وأخذ الديب يدعو للتمرد والثورة على الاحتلال البغيض ولو كان ثمن الحرية الحياة نفسها :

واهتف بشعبك أن يثور مجاهدا
مازال خطب الغاضبين خطيرا
القيد ضوعف وزنه وإساره
والسجن أصبح للبلاد سعيرا

وهو لا يضن بحياته ثمنا لحرية مصر وعزتها :

اليوم إما أن نعيش أعزة
أو أن نموت أعزة الأموات
هى ضجعة روحى بها فى جنة
ماذا يهم إذا فقدت رفاتى ؟

ويرى أن لغة القوة هى التى يجب أن تسود فى تعاملنا مع الاحتلال البغيض :

خلوا الكتابة للمدافع والظبى
فلقد كتبتم باليراع كثيرا

أنا شاعر لا كنت فيكم شاعرا
إن لم أكن أسدا بمصر هصورا
خلوا المفاخر للرجولة وحدها
تحيا الرجولة مبدأ ومصيرا

وكان الديب يحلم باليوم الذى يرى فيه مصر القوية العزيزة الحديثة :

إنا لنرقب للكنانة دولة
ملء البسيطة قوة وظهورا
يبنى الشباب جلالها وجمالها
ويذود عنها غدوة وبكورا

وكان يرى أن حرية مصر وقوتها وعزتها لن يحققها إلا قوة السلاح وصلابة العزيمة :

إلى السماء فاصعدى
لا تخضعى لا تسجدى
إلى الدماء للدماء
صوّبى وسدّدى
إلى السلاح للكفاح
لا تراعى واجهدى

وكانت غاية آماله أن يرى مصر الحرة المستقلة العزيزة رغم كل أدوات البطش والقهر والعنف :

إلى السجون أو نرى استقلالنا

فـــالســـجـن للأحـــرار جنـات النعـــيم

ونفـــذوا إن شـــئـــتـــمـــو إعـــدامـنا

فـعـــيش الاســتـعـــبــاد فى نار الجـــحـــيم

* * *

وكان عبد الحميد الديب لا يؤمن بالأحزاب أو بجدواها ... فأخذ يشن حملة شعواء على تناحر الأحزاب وصراعاتها بالمعارك الفرعية دون أدنى أهتمام بمصر ومصيرها ومستقبلها أو التفكير فى كيفية تخليصها من قبضة الاحتلال الانجليزى الغاشم ..

ومع هذا فإننا نجد للشاعر قصائد فى الثناء على حزب سياسى بعينه ظن فيه خيرا وعلى رئيس هذا الحزب وقادته لم نجد فائدة ولا ضرورة لضمها إلى الديوان .

ولقد حمل الديب على السلطة الحاكمة فى عنفوان قوتها وسطوتها غير مبال بما قد يلحقه من أذى وبطش :

إذا لـم تـصـلـح الحكـام فـــــيـنـا

فـــمـــا يـرجـى لنـا أبـدا صـــلاح

ثم يمضي إلى أقصى غايات الجرأة والتمرد فيهاجم الوزراء الذين شغلوا عن الشعب ومشاكله وما يعانيه من آلام وأهوال بملذاتهم ومطامحهم الشخصية فيقول :

أمـــا تسـتـــحـــون لهـــذا الخـــراب

وقـــــد هـلـك الـطـفـل والمـرضـع

فـــهـــذا هو الـهـــول يـوم الوعـــيـــد

وكـلـكـم راح يســـتـــمـــتـع

أفـى ســـاحـــة الـكـون بـين الـدمـــاء

يـقـــام المـصـــيـف أو المـربـع

رئيس الوزارة فوق السفين
يغني بليلاه أو يسمع
تكال له المتع الوافيات
وللوطن الموت والمصرع
دعوا الحكم لستم كفاءً له
وما في هواكم لنا مطمع

هكذا أطلق الديب هذه الصرخة عام ١٩٣٨ في عنفوان سطوة الاحتلال الانجليزى وحكم الطبقة المستغلة غير مبال بما قد يجره عليه هذا الموقف الصريح الشجاع من ويلات ومشكلات لا حصر لها وأهوال جسام ... وحسبه أنه آمن بوجوب تغيير نظام الحكم من أجل مصر ومستقبلها وعزتها ...

ثم يرى أن مصير هؤلاء السادرين فى ملذاتهم ومطامعهم الشخصية غير مبالين بالشعب وما يعانيه من أهوال سيكون رهيبا وأن لاخلاص لمصر إلا بقوة شبابها وعزيمتهم :

لستم لنا الأكفاء أنتم عصبة
ما فى جهادكم لمصر نصيب
حتما سيأخذكم على أعناقكم
يوم بأخذ الظالمين قريب
يوم الشباب الطامحين وإنه
كغد لمن يرجو سناه قريب

ثم يطلق صرخة قوية ثائرة عالية يدعو للثورة والعنف والقوة والتمرد على الاحتلال البغيض فإن لغة الوعود الزائفة لم تجد شيئاً :

لم يجـدنا عـهـد الكلام وإن غـدا

شـدوا يفـيض بسـاحـر النغـمـات

فـتكلمـوا نغم النضـال مـجللا

بدم الضـحـايا صـادقي العـزمـات

لا تسـمـعوا إلا صـراخ مـقـاتل

ورنين صـمـصـام وقـصـف قناة

ومـجـاهد في الله يغـشـاه الردى

فـيصـيح : ياوطني إليك حـيـاتي

* * *

هذا هو عبد الحميد الديب الشاعر الوطني الصادق المحب لمصر ... الوفي لها ... وهذه لمحة سريعة من وطنيته وأشعاره التي تفيض وفاء وحبا وصدقا لوطنه .. وهي تصور حقبة هامة من حياته الخصبة العريضة .

فى الوظيفة ! ...

كان الديب يشعر بالمرارة والحزن بسبب ضيق ذات يده ولاخفاقه فى العثور على وظيفة وكان كلما تقدم ليطلب عملا طورد بطلب صحيفة السوابق فيئس من رحمة الحكومة واشتغل لفترة عند أحد الدجالين وكانت مهمته إطراء مواهب ذلك الدجال الزيائن !.. ولكنه ترك تلك المهنة كما ترك من قبل مهنته كمصحح فى إحدى المجلات لقاء قروش وعاد لحياة الصعلكة والليل والحانات ! ...

وكان الديب يطلق صرخاته بسبب إخفاقه فى العثور على وظيفة بسبب صحيفة سوابقه فيقول :

قــــالوا المؤهـل .. قلت الجـــوع والـعطـل
يا أمــة عــز فــيـهـــا النَدْبُ والـرجل! ..

وامتدت يد الوزير الأديب عبد الحميد عبد الحق فعين الديب فى وظيفة على الدرجة التاسعة بوزارة الشئون الاجتماعية بمرتب قدره خمسة جنيهات فى نهاية عام ١٩٤٢ ... ولكنهم طالبوه بالمسوغ فاحتمى الديب بالوزير الأديب فقال :

أأبكـى وحظى فى حـمــــاك يـغـــرد ؟
وأفنى ولـى ذكــــر إذا شـــئت يـخلـد ؟
وأشـقـى شـقــاء الروض جــانبـه الحـيـا
وفى مــصـر أكــفــاء بعطفك تسـعـــد ؟
أتـركــــبنى فلك النجـــاة وكلمـــــا
قـــصــدت به شطا يطول ويبـــعـــد ؟
فـــذد ضـــربات فى الظلام تـنالنى
إذا لم يكن لـى من حـيــاتك منجـــد ؟

وأسند الوزير له عملا فشمخ أنف الديب واشترى عصا يتوكأ عليها ترفعا وكبرياء ولكنه أفاق من نشوة الفرح بالوظيفة الجديدة حين رأى نفسه بلا مقعد أو مكتب يجلس من خلفه فى الوزارة مثل بقية الموظفين فبعث للوزير بهذا البيت :

بالأمس كنت مشردا أهليا

واليوم صرت مشردا رسميا

ولكنه لم ينعم بوظيفته طويلا إذ أنه فارق الحياة فى ٣٠ أبريل عام ١٩٤٣ (*)

(*) للمزيد من التفاصيل راجع « فيلسوف الصعاليك : عبد الحميد الديب » بقلم محمد رضوان إصدار مركز الراية – القاهرة ١٩٩٩

نهاية شاعر البؤس ! ..

يقول الدكتور زكى مبارك عن الأديب الصادق : (١)

(إن الأديب لا ينبغ إلا إذا ارتطم فى الغواية والبؤس وتلك سنة الطبيعة منذ خلق الأدب إلى اليوم ، ويكاد يكون من المستحيل أن يكون لرجال الأدب روح إلا إن صهرتهم الهموم والأحزان) هذا هو رأى الدكتور زكى مبارك وهكذا كان يؤمن شاعر البؤس ، عبد الحميد الديب ! .. فبالرغم من أنه كان شاعرا بائسا ماجنا فقد كان يجد لذة فى الإمعان فى هذا السبيل ليخرج شعره كما كان يتخيل صادقا واقعيا ! .. وارتمى الديب فى آخريات حياته فى أحضان الكأس وإدمان الكوكايين فى حانة الحاخام بحارة اليهود يناجى صاحبته الشقية فاطمة ويبثها همومه وأحزانه بعد ما وجد أن الوظيفة التى أهتدى إليها كانت سرابا .. لضآلة المرتب ! ..

وصار الديب يذوب تدريجيا حتى انتهى كشاعر وكإنسان .

وكتب المرحوم كامل الشناوى يرثيه فقال : (٢)

(لقد جاع الديب وأكلت الماشية وتعرى واكتست الاضرحة ، وهو الإنسان وهو الفنان ياصديقى : كيف أبكيك ميتا وحياتك لم تُبقِ فى عينى دمعة أرطب بها ثراك ! ...)

* * *

أما بعد ، فتلك هى سيرة شاعر البؤس ، عبد الحميد الديب وهذا هو شعره الذى كان يتمنى أن ينشره فى حياته .. نقدمه اليوم لقرائه ومحبيه ..

* * *

وإذا كان أحمد حسن الزيات قد أرجع مأساة الديب إلى أن الطبيعة قد قست عليه ، فلم تزوده بما تزود به الحى الكامل العامل بالكفاية الكافية لابتغاء العيش السائغ الهنئ ، فكان رغبة جامحة لا تحققها قدرة ، وشهوة عارمة لا تضبطها إرادة ورأى نعم الله تفيض من حوله على من يراهم مثله أو دونه ، وليس له منها مورد ولا فضل ، فأطال لسانه الحقد ، ورفع عقيرته الجوع ، وألهب شعوره الألم ، وأمض نفسه

١- ذكريات باريس – ١٩٣١ – ص ٨٤

٢- الاهرام – مايو ١٩٤٣

الحرمان ، فصدر عنه شعره كما يصدر الأنين عن المجروح ، والصراخ عن المظلوم ، والزمجرة عن الساخط ، ولم يفهم الشعر على أنه فن يلذ أو رسالة تؤدى ، وإنما فهمه على أنه سلاح يحمى ، أو شص يصيد وكان منشأ ذلك الفهم القديم للشعر الحديث أنه كان كأكثر الشعراء القدماء لم يعرف الحياة على أنها جد وكد ، وإنما عرفها على أنها لهو وصعلكة ، ولذلك قضى حياته البوهمية البهيمية شهوان لا ينام إلا على المسكر والمخدر ، ولا يتيقظ إلا على الجوع والظمأ !

فإن د . زكى مبارك رغم رفضه لذلك الإتجاه الذى كان سائدا يومذاك بأن البؤس يذكى المواهب ويزيد فى يقظة العقول ، فقد أدان المجتمع الذى ظلم عبد الحميد الديب ، فذكر أن الأديب الحق ليس أسيراً للوطن ولا أجيراً للمجتمع ، فالديب لم يقتل نفسه عامدا متعمدا « فأنتم خدعتموه وضللتموه ، وفرضتم عليه أن يستغيث بمعروفكم ياأشحاء » وقال موجها حديثه لوجهاء المجتمع « أنتم القتلة لذلك المخلوق الذى وثق بكم ، وأنتم حملة المصاحف .

* * *

هذا هو الديب الشاعر البائس الذى رسم لنا لوحات صادقة صور فيها قصة بؤسه وحرمانه وألمه وعذابه تضعه فى مرتبة عالية مع أعلام شعرنا العربى المعاصر .

وقد اشتهر بأنه شاعر البؤس الذى لا يجاري ولا يبارى حتى وصفه – الشاعر طاهر أبو فاشا – بأنه الفارس الذى لا يشق له غبار فى هذا المضمار ، حيث كان لوناً متفرداً من المكدين من شعرائنا المحاويج الذين تنكرت لهم الحياة فتنكروا لها ، أو بعبارة أصح تنكروا هم للحياة فتنكرت لهم الحياة ، فهذه هى الحقيقة التى جمعت بين حراف الديب وانحرافه ، فقد كان ممروراً ساخطاً باستمرار ، ساخراً دائماً ، ماجناً على أى حال ، كانت حياته رحلة قصيرة فى حساب الزمان ولكنه ترك وراءه معها قصة دامية للفنان الذى ترتفع به موهبته ، وتهبط به نزواته ، فهو مخدور يسير فوق سحابة من الوهم تحمله من حى الباطنية أو حى الزهار . . أو مخمور يترنح ويحمل نفسه متثاقلاً من حانة إلي حانة ، فإذا دبت الحميا فى مفاصله راوده خداع السرور ، وأخذته نشوة السعادة الكاذبة ، فانطلق ينشد أناشيد الوهم والسراب !

هذا هو عبد الحميد الديب وهذا هو شعره النابض بالحرارة والصدق والعذاب ! ..

محمد رضوان

شعر

عبد الحميد الديب

البائس

أذلـه الـدهـر لا مــــــال ولا سـكـن ..
فــــتـى تزيـد علـى أنفـــاســـه المحـن ..
إذا سـعـى فـجـمـيع الأرض قـبلتـه ..
وإن أقــــام فـــــلا أهـل ولا وطـن ..
مــــهـــاجـــر بـين أقطـار الأسى أبـدا ..
كـــأنـه بيــــد الأرزاء .. مُـــرتهـن ..
كـــأنه حـكمــــة المجـنون يـرسلـهـــا ..
من غـيــر قـصـد فـلا تصـغى لهـا أذن ..

* * *

ثـيـــابه كـــأمـــانيــــه ممـزقــــة ..
كـــأنهـــا - وهـو حيٌّ - فــوقـه كــفن
هو الـهــدى صـرفـتكم عـنه .. مـحنتـه
إن الـعــــزيز مــــهـين حين يمـتــــهـن
ألا فــــصــــونوه من أرزائـه كـــرمـــا
ولا تـخـلـوه يوري شــــــــره الـزمـن
فــربّ عــزم يثـيــر البـؤس فـيـصله
فـــينبـــرى لـســبــيل الشـــر لا يـهن

الطلل الباكى ...

لو أستطيع البكا يا أيُّها الطلَّلُ
بكيتُ حتى شكَتْ من دمعى المقُلُ
أرى الحوادِث آساداً .. مُقذفةً
علىّ دون الورى تعدو وتقتتل
فكم تصوّح عودى بعد نضْرته
وكم خَبا فى دياجى عُمرى الأملُ
وكم دعت لى أُمّى وهى باكية
وكم دعا لى أبى يقْظانَ يبتهل
وأجلس الليل فى صحبى أسامرهم
وكلهم بمجالى رقتى ... حفَلُ ؟
حتى إذا سلموا للعَوْد وانصرفوا
سرَيْتُ جوعان يفْرى عزمى الكللُ

* * *

جوعان ! .. يامحنةً أربتْ على جلدى
كأن ليلى بيوم البعث .. مُتَّصل
كأنّ حظى رحيقُ الدهر يشربها

بِكْراً مــــعــــتــــقــــة فـــالدهـر بى ثَـمِلُ
فــإن تطـلبتُ عـــيـــشى مت من كــمَــد
وإن تـطـلبت حَـــيْـنى ببــــعُــــدُ الأجَـلُ

وصف راقصة ...

عَربدَ الحسن فَجُنَّ السامرُ
وعرا السُّمار أُنسٌ غامَر
رقصت أم زلزلت من رقصها
كلّ قلب فهو ناء ... حاضر
الشيوخ القُعْددُ استجلوْابها
كل حسن ، والشبابُ الباكر
ذلك الرقص صلاةٌ وهدى
ودعاء مستجاب طاهر
ويد تستلهم الله التقى
وفؤاد بالأمانى ... عامر

دمع المنازل ...

بَواد كدار الخلد بر المنازل
شَقَيتُ فمالى لا أفوز بطائل ..
أُقضّى به فى ليله ونهاره
معيشة أفّاقٍ ووحدة ثاكلِ
وكم سألونى كيف تشقّى مع الحِجا
وفى شعرك الهامى عِذابُ المَناهلِ ؟
فقلتُ بهذا الشعر بؤسى وشقوتى
كما قتل الصَّدّاح زهْرُ الخمائلِ
فلا تسألونى عن دمائى وسفكْها
سلوا بدمى الغالى جريمة قاتلى
فكم مرّت النُّعمى علىّ بسيمةً
فأبعدها عنى وضيع الوسائل

* * *

ورفض لئيم كاشحٍ الصدر حاقد
منالىَ أرزاقى بهمَّةِ .. عامل

* * *

بكتْ بلدتى حزنًا علىّ وحسرة
وأحزن ما أبصرتُ دمعُ المنازل
وكم نَدَبتّنى فى حِمَاها ضريرة
تنوح بصوت هَالعٍ الوقع ذابل
وشيخٌ أبىٌّ الدمع إلا بمحنتى
وفى ثوبه مجد الكرام الأماثل
هما والداى الصالحان كلاهما
على شدة البأساء موئل سائل
فيارب .. إما نعمة من حصافتى
وإما حياة فى حماقة جاهل ! ..

بؤس الشرف

يا ذلَّة العـــيش بين البـــؤس والشـــرف
عـــيشى هـو الموت في الحـــرمـان والتـلف
إذا تـناولـتُ نجـــمــــاً فى مـــحـــاولـة
رأيتـــه حـــجـــراً صـــفـــوان من خـــزف
ولو كـــشـــفتُ كنوز الأرض مـــا ظفـــرت
يداى منهـــا بغـــيـــر الحـــزن والأسف
لعنتَ يارب غـــيـــرى واغـــتـــفـــرت له
هلاَّ غـفـرت لشاك غـيـر مُقْـتـرف ؟ ! ....
أعـــيش فـى أُمـــة ضـــاقت رغـــائبـــهـــا
بالـدّرِّ وانصـــرفت حـــمَّـــالةَ الصَّـــدَف
يمضى العـــبـــيـــد بهـــا فى كـل ناحـــيـــة
مـــحـــمـلين من الأنعـــام والتـــحف
إذا رغـــبت عـــبـــيـــدا فـــالـتـــمس مـــلأً
بمصـــر يحـــيـــون كـــالأنعـــام بالعلف
أطـعــــــمت يارب هذى النـاس من ذهـب
ونحـن قـــيـــد الطوى نـشـــتـــاق للرُّغُف

وكُنت أول مـن يشـــــدو لمؤتلف

فــبتُّ آخـــر مـن يرثـى ... لمخـــتلفٍ

وضـــمنى الدهر والأمـــوات فى جَـــدَث

نـرجـــو المراحـم من بَادٍ ومـــعـــتكفٍ

* * *

أبى ! ... وأين أبى حـــيّـــاً ووالـدتى ؟ ..

لقـد حـسـبـتُـهـمـا فى صـالح الـسلف

فــالبـؤس أبعــد عنى كـل مــقــتــرب

حــــزنـا وقـــارب مـنى كـل منصــرف

وردّنى فـى الصــبـا شــيـخـا يضـيق به

عطـف القلوب ســوى هاو ومـــحــتــرف

وأطمـع الوغــد فـى تبـريح مـــتــربتى

وأركـب النوكَ فـــوق الصـــدر والـكتـف

أحـــيــيتُ بالشـــعــر أمـــواتا فـــأهلكـنى

لأن سلـمى بـه حــــرب لمنتــــصـف

لاهمّ ضــاع شـــبـــابى وانتـــهى أجلى

ولـم أذق نهـلـة من كـــــوثر الـشـــرف

مــعــيــشــتى صــدفــة والموت أرقـبــه

مــهــمـــا يطل زمنى من عــثــرة الـصــدف

أباة الضيم ...

دمـــوع الثَّـــواكـل لا الـغـــانـيـــات
وســؤل الـيـتـيـمـات لا الـسَّـادرات
أقمْ وجـــهـك الســمح فى المكرمـــات
لـكـلِّ كـــريم عـــصـىٍّ الشّـكـاة . .
فكـم مُـعـــوزٍ قــد كـســاه الإباءُ
حــصــانة ذى القــدر الغــاليــات
فــيــقــضى طوىً دون أن يجْـتَــدى
ولا يذكــر الجــوع حــتى الممــات
وأســخَنُ من عــبــرات العُـفـــاة
حَـبــيسُ البكـا بعــيــون الأُباةَ

* * *

إذا أغــــفل الـروض صــــوبُ الربيعِ
يحُــــولُ إلى بَلـقَـع أو مــــوَات
وإن أعــــوز الحــسنَ نيلُ الكفـــاف
جــرى العُــهْــرُ للخُـــرَّد المحـصنات
وكـم حطم الفـــقـــر كُنَّ الخـــدور
فـــذرّى به زعـــزع الســافـــيـــات

وللصامتين وللصابرين
نداك ، وجنّبهُ مَنْ قال هات
لمن يصطلون وهم صابرون
لظى الفقر والمحن المهلكات
رجال نساء ، لهم في الممات
غرامٌ لفقرهم في الحياة

فى وصف الحبيب

خـــلال أطلاله رغم الضنى جـــاســـا
صَبٌّ طوى العـمـر وجدانا وإحـسـاسـا
ردَ الشـبـيـبـة كـهلاً من مـدامـعـه
رد الربيع هشيم النبت حـسـاسـا
بكى بكاءين من قلب ومن بصـر
وصب دمعين متلافا ومتناسا
أحـبـبت والبؤس تقصيني مخاوفه
فبت أضرب للأسداس أخماسا
أحـبـبت أنعم من حدثته ، رشأ
به سمات الهوى روحا وأنفاسا
به شحوب يكاد الصب يأكله
أكلا ويشربه دون الطِلى كـاسا
وإن تكلم فاسمع أيَّما ضحك
يريك أى جمال يسحر الناسا
لو كان مقول "غندى" من رخاوته
ما قسم الهند أطهاراً وأنجاسا
وإن تثنى على كرسيِّه ورنا
فاسخر من البان صدّاحا ومـيّاسا

مصرع الحظ ....

حظى ومـــصْــرعُــه فى لـين أخـــلاقى
وفـــيض عطفى على قـــومى وإشـــفـــاقى
ومَنْ حَـــبـتْـــه الطَّلا أخـلاف نـشْـوتَهـــا
عــــدا على الكأس طـوراً أو على الـســـاقي
بين الـنجـــوم أناس قـــد رفـــعـــتـــهـمُ
إلى الـســـمــــاء فَـــســـدُّوا بـاب أرزاقى
وكنت نُوح سَـــفـينِ أُرسِلتْ حـــرمـــاً
للـعـــالمين فـــجـــازوني بإغـــراقي
وكم وقـــيـت الردى من بتٍّ مـــضـطربـا
فـى أســـره المرّ لـم أظـفـــر بـإطلاقـى

* * *

يـاأُمـــةً جـــهِـلـتْـنى وهى عـــالمة
أن الـكـواكـب مـن نـورى وإشـــــراقى
أعـــيـش فـــيـكـم بـلا أهل ولا وطـن
كـــعـيش مُـنْـتـجعِ المعـــروف أفَّـــاقِ
ولـيس لـى من حـــبـــيـب فى ربـوعكـم

إلاَّ الحَــــبـيـــــبْين : أقـــلامى وأوراقى

ريشَت لغــدرى سـهــام من غيــمــتكم

فـــصــارعـــتنى ومـــالى دونهـــا واق ...

لم أدر مـــاذا طعـــمــتم فى مـــوائدكم

لحم الـذبيــحـــة أم لحـــمى وأخـــلاقى ؟ ..

* * *

قـــالوا غَــوىٌ شـــقىٌّ قلتُ يـاعــجـــبـا

قـــد امْـتُــحـنتُ بفُــجّــار وفُـــسّـــاق

ومــــا تألمتَ من خَطْـب ضـــحـكتُ لـه

كـــمـــا تـألمتُ مـن خَطْبى بعُــشّـــاقى

أنا عـلى القُــرْب منهم كلٌّ مـــتــعـــتــهم

وإن نأيتُ حَــبَـــونَــى فَـــيْض أشـــواق

فــمـــالهم قــد أشـــاعـــوا كُلَّ مُـــخْــجلة

عــنـــى ، و أعـــلـنـــوا بـؤسـى بـــأبـــواقَ

كــصـــاحـب الطّيْـــر لا ينفكُ يـــسـجــنه

ســـجنين من قـــفصٍ مُـــضْنٍ وأطواق

* * *

حـظى هـو الأيـكـة الخـــــرســـــاء ذابلـة

هو النـسـيم سَـمُـومـاً غـيــر خَـفَّــاق

هو السـحـاب جَـهَـامـاً والندى أسِناً

هو الضـيـاء لهـيـبـا حين إحـراقى

كـأنهً أذرع شَـلاءُ راحـتـهـا

أو أنه أعينٌ من غـيـر أحْـداق

لا تسـألونىَ عن بؤسى وعلّتـه

سلوابه الحظ مَـيْـتـا فـوق أعناق ! ..

غنى الجار...

أهلٌ بهـــا لـله راضـــيـــةٌ نفـــسى
وأشــربهــا فى الـصـبـر مُتـرعـةً كـأسى
عَلَى مــــوهـبـــاتى ألـف ديْنٍ لأمـــتى
على أننى فـــيــهـــا لدى مِـحَـنى منسى
رفـعـتُ حـجـاب الشـمـس فـيـهـا فـأطلعتْ
عَلىَّ الـنهـار الـصـحـو خلواً من الشـمـس
وأحـــتــمل الدنيـــا كـــأنىٍّ خلقــتــهـــا
وأن جـــمـــيـع الخلق عُلّـقَ فى رأسـى

* * *

إلى الـقـــرب منى كـنز قـــارون مـــاثلا
ولَّما أنـلّ منـه ســـوى حُـــرقَـــة اليــأسَ
فـــفـى بيت جـــارى آثـر المـالَ وَكْـــرهُ
فَـــيُـصــبح فـى لَمَع الثـراءِ كـــمـــا يمسى
وجـــارى جـــمـــاع البـــاخلين وظلـهم
فلم يَدَعْ مـحـــرومـــاً بعـــيــد ولا عـــرسِ
له أســــرة كـــالروض زهـراً وَصَـــادِحـــاً

فَمَنْ شَامَها ألفى ملائك فردوس
بنون ، بنات ، مثل ورد منضَّرِ
يمُرون كالإصباح معتدل الطقس
يمر على سُكْنَاى فى ذَيْلِ بيته
مرور عيون الموسرين على الفُلس
تكبَّرّ فالألفاظ منه إشارةُ
كأنَّ عباد الله طُرًّا من الخرس
وإن نطق الفصحى فمن طرف أنفه
كنفخة ذي جاه ومال من الفرس

* * *

صحوت على قَصف الرّياح وصوته
وما أحدث الطرق الخَليع من الجرْس
يطالبنى بالأجر فى غيظ دائنٍ
تصّيده المحتال بالثمنِ البخس
وقال يدارى ظلمه : أىٌّ ضامن
لسُكْنىَ تَعرَّتْ عن سرير وعن كرسى ؟!
أَراك بها كل الأثاث ولا أرى ...
سوِىِ قلم ثاوٍ على الأرض أو طرس ! ..

* * *

فـقـلـت لـه : هـذى جـدودى كـمـا تـرى
فـمـا مـسكنى فى البـيت ، بل أنا في رمسى
وقلت مـعـاذ الذيـن مـا كنت مـرة
غـريمـاً ولا أذللت يـومـى ولا أمـسى
وأسـمعـتـُه صوت الدراهـم فـانحنى
يقـدم أعـذار اليـهـود من الـوكس
وأخـضع فـقـرى كـبـره وثراءه
وأىّ غِنىّ للمـرء غـيـر غِنَى النفس ؟ ..
إذا كـانت السكنى بأجـر مـذلةً
فـمـا أرحب المجّـان في غـرف الحـبس
فـإنى أرى فـيـهـا الطعـام ، ولا أرى
غـريما ، يُلاقـينى بعـارضـة النحس
وإن لم أجـد فـيـهـا الطعـام مـيـسّرا
فـإنى رضىّ البـال .. أطعم من حـسى ! ..

ياربة الدار ...

ياربة الدار لا ترثى لأرزاقى
قد قدر الله إسعادى وإملاقى
معيشتى بين مصر أصبحت مثلا
لعبقرىٍّ غنىّ النفس أفّاق
والبؤس يا هذه حبلى وآصرتى
إلى السماء ترينى فيض خلاّق
بالأدمع من خرساء ناطقة
تذيع حرماننا من كل إنفاقَ

* * *

لم أبك جوعان أو ظمآن بل شغفا
في رق سجنى إلى عتقى وإطلاقى
وعز أنماط قومى من ثرائهمُ
يفنى ، وعزّىَ من بؤسى هو الباقى
عزّى بصبرى وإيمانى وتضحيتى
وبالحفاظ على دينى وأخلاقى . .
تبكين من طول تبريحى ومتربتى

ومنْ جــراحيَ في قلبي وآمـاقي ..
وأنت ورقـاءُ روضي ليس يَقْـدحُني
سـوى جـواك على غـصني وأوراقي
أنا الذبيح مـدى عـمري ومن عـجب
أني حُـرمت بخطبي كل إشـفاق

في مأتم عرسي ! ..

لقَد علَّتني بالرضا عن خصاصَتي
وقالت معَاذَ الصبر أن أتألما
فلما رأتْ مَبْكايَ ريعَتْ وأقبلتْ
تُبكَي معي عيشاً وحظًّا تجهَّماَ
فيالك عيشاً كلما همَّ صاحبُ
يُواسي عليه هَلهلَ الدمع مرغما
إذا سجعت ورقاءُ تبعث فرحتي
تنوح غراباً فاحم اللون أسخَمَا
وإن هُيئت لي بالمدامة متعة
رأيتُ مريرَ الحزن بالكأس خيما
وقد مرّ بي عصر الشباب ، كأنما
طلعت على الدنيا مشيباً محطمًا

* * *

أقام ليَ الأصحاب عُرساً فمذ رأوا
به محنتي تشدو أقاموه مأتما
وروّى العطاشى من نميري بينما

سُـقـيت به مُـهْـلاً حـمـيـمـا وعلقـمـا
لـقـــد نجح الإجـــرام حـــتى رأيتنى
إذا رمْتُ بعض الـعـيش أصـبـحتُ مـجـرمـا
ولسـت بمخـــتـــار الـشـــقـــاء أو الهـنا
فطـول حـيـاتى أشـرب الكأس منهـمـا
لقـــد حـــســـدونى ليـــتنى كنت دونـهم
فـؤادا وأقـــضى بعـض عـــمـــرى منعـــمـا
وتغـــرى بأحـــزانى خطويى فـــاعـــجـــبـــوا
إذا عـــشتُ يومـــاً مـؤمـن القلب مـــسلمـــا

عيد بؤسى . .

مَن زائرى فى العيـــد ؟ .. من بالبـاب ؟..
وهمٌ فـقـدتُ بـه رشـيــد صـــوابى
مَنْ ذا يطُالعُ سـحْنةً مُـغْـبـرّةً
فـكأنـهــا لعُنتْ بكل كـــتـــاب
ياغــرفــتى مـا عـشت أحـبُـوك الـرضـا
فلـقـد حـجـبت عن الورى أوصـــابى
فـعلى ثَراك عـفـرْتُ جـسـمى نائمـاً
كـثـري البــقــيع لـعـــابد أوّاب
ووقــيــتنى فى مـدمـعى وشكايتي
أذنَ اللـئــيــم ، ونـظرة المرتـاب
جُـنّ الظـلام وقـد تـوارى عــيــدهم
وذوى رواء البـــشـــر والتـــرحـــاب
فـخـرجت بعـد العـيـد أخـفى شـقـوتى
مـتظـاهرا بـالزهـو والإعــجـــاب! . .

* * *

مــــا آدنى إلا بـكـاء حـلـيـلـتى

حـزنا لـبـؤس شـبـابـهـا وشـبـابـى

تـرنو إلـى جـيـرانـنا فـى يـسـرهـم

رنو الـيـبـاب إلي هـمـيـل سـحـاب

وهى الـصـبـور إذا عـرتـنا مـحـنةٌ

لم يـدر غـيـرى مـا يخـبـئ بابـى

وإذا انـتـصـرنا فـى حـروب مُـرّة

فى عـيـشـنا عـفّت عـن الأسـلاب

والناس مـهـمـا أسـعـدوا فى عـيـدهم

صـرعـى خـراف فـى سـعـار ذئاب

حـرم الأناسـىّ الـلحـوم وإنهـا

قـد أصـبـحـت فى مـصـر طعم كـلاب

ولو أنـهم وصلـوا الـفـقـيـر بعـيـدهم

مـن رزقـهـم لنجـوا من الأوصـاب

* * *

أنـا جـالس فـى مـوكب حـلقـاتـه

ضـمـت أعـزّوجـاهـة وجناب

مـن كل مـزحـوم الـطـرائق لـلغنى

أو والـغ فـى الجـاه والألـقـاب

أو مـدّعٍ أن الـنبـوة أصـلـه

مــــتطاول بـوجـــــاهة الأنـــســــاب

كـشفت رجـولتـهم وجـوه خـصاصـتى

فــــرأت بهـــــا وردًا لـكل ســــراب

قـــــد زوروا هـيــســبــــاتهم وتـفـتنـوا

فى كــــرنـفــــال البــأس والإرهـاب

* * *

والـبــــؤس أعـــــمـى أو أصم ، فــــأهلـه

نـهـــب لـغش الـداعــــــــــر الـكـذاب

غـــــرقى بـأمـــــواج الحــــيــــاة وربما

ينجـــــو الغــــريق بـواهـن الأحطـاب

قـــد خلت بـالأصـــحـــاب بعض هنـاءتى

والـلؤم كـل الـلؤم فـى الأصــــحـــاب

هم قــــادرون ومــــا تشــــاء خـــلالـهم

أن يكـشـــفــوا كــربـى وســوء عـــذابى

لكـنهـم حــــذقــوا الـهــــروب من الـندى

بملامــــتى فى شـــقــوتى وعـــتـــابى

والحـــسم أصـــرح فى الردى من خـــمـــرة

فـــيــــهـــا الردى من تالـف الأعنـاب

ذبحـــوا الخـــراف مــخـــافـتين وجـــددوا

في عـــيـــدهم من فـــرحـــة وثيـــاب
أنـا لست أســتــجــديهـم لكـنني
منهـم أقــــر براءتي ومـــتـــابي
إن فـــاتني عـــيــد الحــيـــاة ويســـرها
ســأرى هناء العـــيـــد يوم حـــســـابي !

فى الحانة المظلمة ...

ياحـــــانة من طلاها تشـــــرب الكاسُ
وفى دجنتـــــهـــــا للقلب إيناسُ
شـــذى المدام وأرواح الســـقـــاة لهـــا
كـــــالروض عطرّه النســـرين والآسُ
ياشـــــادنا فى يديه الكأس فـــاتنة
كـــأنما خـــمـــرها حُبّ وإحـــســـاس
إلىّ فـــاتنة النّدْمـــان واســـتـــبـــقى
هذا الغـــزال فـــمنك القـــدّ مـــيّـــاس
والنهـــد ؟ .. يا ويلتى من حـــالم هزج
إلى التـــــــوثّب منه يرفع الراس

* * *

يا لائمى فى الطّلا أفـــرغتُ منك يدى
فـــأنت فى حُـــرمـــات الخلد دسّـــاس
قل للخليين من يصـــحـــون من غـــسق
أنتم على طهـــركم بالماء أنجـــاس
كل العـــباد سكارى فى مـــعـــيشـــتـــهم
والسكر كـــالخلق أشكال وأجناس

شم الكوكايين

أفاطمُ إن الناس قد أكلوا عرضى
وبتّ لعيناً فى السموات والأرض
يقولون « شَمّامُ» وما شمّ معْطسى
سوى الوردة الفيحاء والنرجس الغضِّ
معاذ شبابى أن يبيت نضيره
هشيما وأن أقضى على جسمىَ البض

* * *

أليس بياض « الكوكيين » مبشّرا
بأسود عيش فى غياهبه أقضى ؟ ..
فمن فقد عقلٍ كان مبعث حكمة
إلى البؤس فى ذل السؤال أو القرض
إلى السجن بين المجرمين يؤودنى
زمان كيوم الحشر يأتى ولا يمضى

لماذا البؤس ياربى ؟ . .

أيهنيك أن أبكي وعـــيــــشك ؛ يـــسمُ
ويرضـــيك تَبّـــريحى وأنت منّعمُ ؟ . .
مـضى العــمـر لم أُدرك به يوم مـاجـد
وأنـت على طول الحــيـــاة مكرَّم
وجــيـع لنفــسى أن أرى منك فَــرْقَــدا
وأنـت الثّـــرى تعلو عليّ وتعظم
وفى قـــســمــة الأرزاق عـــدل وإنما
هُنالكَ ســرٌّ فى الســمـــاء « وطلسم»
فـــيـــارُبّ مــحــروم من الرزق مَـحْلهُ
لكل عـــبــاد اللـه خـــيـــر وأنعم
وفى قلبـــه المقـــهـــور نفس نبـــيـــة
تحـدّث عن ســر القــضــا وتتــرجم
ورُبّ حظيظ ليس يدرى غـــبـــاؤه
أجنة خلد عـــيـــشـــه أم جـــهنم ؟ . .
إذا الناس لَم تنقم من الديب حـــاقـــداً
فللذنب تلو الذنب اللـه ينقم

أأكـــفـــر مـن بؤسى بـأحكام خـــالـقى ؟ . .
كَـــفـى بِـى رزقـــا أنـنّى الـدهر مـــســلم
لمست حــــــدود الأربعـين وكـلـهــــــا
لعـــيـنى كـــغـــضـــبـــات الـبـــراكين مظـلم
إذا عظـمت بأســـاء عـــيـــشى ومـــحنتى
فـــصـــبـــرى عـلى الـبـأســاء أقـــوى وأعظم
ولستُ كـــمـــا ظنّ العـــواذل خـــامـــلا
ولـكننى فـى صـــرعـــة الموت مـــرغـم
إلـى وثـبـــــات فـــــوق رأس نـوائـبـى
وإلا فـــإنـىّ دونهـــا ســـوف أعـــدم
فـلـيس بحـىٍّ مُـن يُرى مــــتـــســــوّلا
ومـن دونـه الأوشــــاب تـغنـى وتـغـنـم
إذا المـال لم يـشـف الـغليـل مـن امـــرىءٍ
فـــأشـــفى مـن المال المنيـــة والـدمُ
وإن أنـت لم تـدرك حنـانا لـعـــيـــشـــة
فــــإن الـردى أحـنـى عـلـيك وأرحـم
* * *
رضـــيت رضـــاء الحـــاقـــدين وإنه
لأولى لنـفـــسى فى الحـــيـــاة وأسلم

فــإن لم يُـفــدنى فــارقـبـــونى جـــريمة
إذا عـاش فـى مـصر صـــفـيق ومـــجـرم ! . .

ثورة مظلوم ...

شقيت إلى أن قيل قد ذلَّ واجتدى
وأصبحتُ لا صوتاً أرجّى ولا صدى

من الظلم تحطيم الحسام لأنه
بكل جهاد فى الحياة تجرّدا

وقطع يدٍ فى الله والحق حطّمت
سجوناً ، وفكت من أذاها مصفّدا

وحرمان موهوبٍ من اليسر بينما
كسا اليسر أوشاّب الكنانة عسجدا

* * *

شكوتُ ، وما شكواى ضعف وذّلة
فلست بمستجد ولا طالباً يدا

ولكننى أفحمتُ ظلماً بمنطقٍ
من الدهر لم تبلغ غباوته مدى

دمى دم أكفاء الحياة ونظرتى
بها للمحيط الضخم لا الطل والندى

أجدّد للدنيا نشاطى وهمتى

فـــتنفـــحنى الدنيـــا شـــقـــاء مـــجـــددا

تُســـــــولّ لى نفـــــــسى المنون لأنـنى

أرى خـــيـــر مـــا ينجى من العـــالـم الردى

فـــأمـــسك ضناً بالشـــبـــاب وبالحـجى

وأبقـى على عـــمـــرى فـــلا ينتـــهى ســـدى

أأسْـــجنُ مـن عـــون اللهـــيف وغـــوثه

ونصـــــرتىَ المظلـوم ســـجنا مـــؤبداً ؟!

أيـــئـــسنى قـــومـى لأنى شـــاعـــر

أهلـهل فـى الآلام شـــعـــرا مـــخـلدا؟ . .

وشـــدتُ كـــمـــا شـــاد النبـــيـــون شـــرعـــة

تنـــزّل فـــيـــهـــا الـوحى شـــعـــرا مـــردّدا

وقلـت ، وقـــال الـناس ، لـم يبق قـــولـهم

بيـــانا ولا ســـــحـــرا فـــأربيتُ منشـــدا

* * *

يمينا لئن لم يؤمنوا بقـــضـــيـــتى

لأمـــضى إليـــهم ســـهم ظلمى مـــسدداً

ســـأرقب عـــدلاً من قـــضـــاتى فـــإن أبواْ

أبَتْ قـــوتى فى الهـــجْـــو أن تـتـــقـــيـــداّ

موت الشيطان ! . . .

كـل شئ أشـــــــهـــــد الـلـه عـليًّـــــا
فـــرّت الدنيــا جـــمـــيــعــا من يـديّا
لا تقـل لى كـــيف تحـيـــا ســـادراً ؟ . .
أنا مـــيْـتٌ بين قـــومى لـست حـــيّـــا
ســــرّ هذا الـبـــؤس أنى شـــاعـــر
قـــد أفـــاد الـدهر منى عـبـــقـــريّا
عـنـدمـــا كـنـت بـحـــانـى شـــاربـاً
كنت أصـــغى للمـــصلى يـتـــهـــيّـــا
رنّة الـتـكـبـــيـــر فـى ســـمـــعى مـــحت
رنَّـة الـكـأس وأودت بـالحـــمــــيّـــا
والمـصـلّـون لدى تـســـبـــيــــحـــهـمْ
صـــيـــرّوا الـنـدمـــان فى عـــينى نِـسـيّـا
مظـهـــر الـتــــسـبـيح والـتـــقـــوى بـهم
قـــد ســـقـــانى الـكـأس إيمـانا ســـريّا

* * *

يـاصـــبـــوحى يا غـــبـــوقى ضَلَّـةً

لكمـا مني بكورا أو عـشـيّـا
وهبطت الروض والليل سَجَا
قد أجنَّ الطير والورد النديّا
كل ما في الروض حتى تربه
سبّح الرحمن تسبيحاً خفيّا
وهنا أدركتُ أني لم أعش
وأنا المسلم إلاّ جاهليّا
قد تخذت الشعر توحيدي ولم
أتطهّر فجنى الشعر عليّا
بينما أُسرف في وصف الطّلا
والهوى لم أدّخر لله شيّا
أنا أو إبليس للدنيا عمي
هو خافٍ وأنا أبدو جليّا ! . .

* * *

قلت ربي : . . وأنا جاث لهُ
فحباني لطفُه قلباً رضيّا
تُبتُ من ذنبي ومن ترجعّ به
نفسه لله يبعثه نقيّا

تـوبةٌ مـن بـعــــد أن فـــزت بـهـــا

كـل شيءٍ صـــارفى عـــينى هنيًّـــا

فـــتـــرانى فى الـســمـــوات الـعـــلا

أصـــحب الـشــمس وتعـنولى الـثـــريّا

ولـدي ســـــدرتهـــــا فى مــــوكـب

مـــا حَـــوَى إلا مـــلاكـــا أو نـبـيّـــا

وعـلى الأرض شـــهـــابا لامـــعـــاً

من صـــفـــاء الـقـلـب أو نور المحـــيّـــا

فُـــتـــحتْ أبـواب أرزاقـى بـهـــا

فـــســـقـــانى خـــيـــرها شـــهـــداً وريّا

ونـأت عنى هـمـــومـى بـعـــدمـــا

أصـــبح القـلـب من الـدنيـــا خليًّـــا

* * *

وسـل اللـيل فـــمـــا أغـــفـــو بـه

غـــيـــر أرمـــاق ، ومـــا تجـــدى عليّـــا

هـذه آية عـــشّـــقى كـلـمـــا

جُـنّ ليـلى ظَـلْتُ ســـهـــرانَ مـليّـــا

لا يـواتـيـنـى الـكـرى حــــتى أرى

طيف حــبى ، فــأُحــيِّ وأحــيَّــا
فـــإذا حـــدثتنى ألـفــيــتنى
غـــائب المهــجــة لله نجــيَّــا
* * *
أين شـــيطانـى وأينت ريـحـــه ؟ . .
كـان يهـفـو فى الـدُّجى روحـا عـتـيـا
أكـلـه أو شـــربـه من هـجـــرتـى
فى ظـلام الشـك أفّــاقــاً شـقــيّــا
فـــقــضى يوم الـهـــدى إذ لـم يجـــد
أى شِــرْعٍ ينتــهى منه إليــا
جنـة المحــراب تشــوى جـســمـه
وأنـا لـم أغْشَ بـيــتــاً أو نـديّـا
مــات شـــيطانـى ، وهـاكم جـنـده
هـيـنـمــوا بـالدمع أشــبــاحــاً بُكيَّــا

في غرفتي . . .

أفي غُـرفــتي يـاربُّ أم أنا في لحـــدي ؟ . .
ألا شـــدّ مـــا ألقى من الـزمن الـوغـــد
وهـل أنـا حـيٌّ أم قَـــــنضَـــــيْتُ وهـذه
إهابـة اسـرافـيل تبــعــثني وحـــدي ؟ . .
لكم كـنت أرجـو غـرفـــة فــأصـبتُـــهـا
بـناء قـــديم العـــهـــد أضـيق من جَــدّي
فــــأهدأ أنـفـــاسي يكاد يـهـــدُّهـا
وأيـســـر لَمْسٍ في بـنايتـــهـــا يُـردي

* * *

أرى النـمل يخــشى الناس إلاَّ بأرضـــهـــا
فــــأرجلـه أمـــضى من الـصـــارم الهـندي
تســـاكـنني فـــيـهـــا الأفـــاعي جـريئـــة
وفي جـــوها الأمـــراض تـفــتك أو تُعـــدي
تراني بهـــا كلَّ الأثـاث ، فــــمــــعطفي
فــــراش لنومي أو وقـــــاء من البـــــرد
وأمـــا وســاداتي بهـــا فـــجـــرائد

تجـــــدد إذ تبـلى عـلـى حـــجـــــر صلـد

* * *

تعـلمت فــيـــهـا صـبــر أيوب فى الضَّـناَ

وذقت هزال الجــوع أكــثــر من « غـــاندى »

جــــوارك يـاربـى لمثـلىَ . . . رحـــمـــــة

فـــخُــذْنى إلـى النيـــران لا جنة الخـلد ! . .

كيف أعيش ؟! . .

نهـــارى إمـــا نومـــة بين مـــســـجـــد
غـــــرارا ، وإمـــــا بـالطـريـق تسكّـعُ
وأطوى عـــصىّ الليل فى القـــرّ ســـاعـيـــاً
ومن أيـن للأفـــاق فى الكـون مـــهـــجع
إذا أذنوا لـلفـــجـــر . . . طرت مـــســـرة
إلي مـــســـجـــد فـــيـــه أصلى وأضـــجع
أصـلى بوجـــــدان المرائى وقـلبـــــه
وبئـــست صـــلاة يحـــتـــويهـــا تصنع

* * *

أمـــرّ على المقـــهى فـــأســـمع شـامـــتـــا
يمـزق فى عـــرضى وآخـــر يشـــفـع
وقـد ســـاء ظنى بالـعـــبـاد جـــمـــيـعــهم
فـأجـمـعت أمـرى فى العـــداء وأجـــمـعـوا

الحبل المنقطع ...

ريعَ الحبيسُ ببلواه فما جزعَا
والجرح كل مدى إبلاله وسعا
حَملتُها طعنات لَوْ بواحدة
منها منُى «همُلايا» مال وانصدعا
ونافسين عليَّ الشعر فى حسد
وما سوى الشعر فى حَرْبِى لهم شفعا
وقاطعين طريق العيش أسلكه
وقَطرُ غَيثى بقومى بينهم همعا
وما قنعت بدونٍ إنه شرف
بالموت دون حياتى بالرضا قنعا

* * *

ياذابحى الشاة فى أفراح عيدكمُ
هَلاَّ بعثتم لنا من لحمها قطعَا ؟ . .
يالابسين جديدا فى ثيابكم
هلا يعثتم لنا المتروكَ والخلعا ؟ . .
ردُّوا علينا شباباكم دَجًى ودجى
وليل شيبكمو باليسر قد سطعا

رَمَيتُموني بأخلاق مجرّحة

حتّى رأيتُ مقامي بينكم وضعاً

فسرتُ سير ذبيح مُهدر دمهُ

صِحا فهمّ فجاء الموت فانصرعا

إذا وصلتُ بكم حَبْلى مسايرةً

أتت عليه مُدى الأضغان فانقطعا

حرمان . . .

رَفَعنَا حجَاب الشمس ، أين سَناَها ؟ . .
ودنّا رياض الخلد ، أين شذاها ؟
تَجافَتْ بنا الدنيا ونحن سَراتُهَا
وضاقت علينا أرضها وسماها
ومن يُرْمَ بالدنيا الفقيرة فليكن
على الرغم منه أُمها وأبَاها

* * *

تحطّمت بالحرمان لولا علالةٌ
تمرغ فقرى فى وضيع ثراها
أنافق فيها مُكْرهًا لخصاصتى
وأبذل نفسى أن أنال حياها
وأستشفع القَدْمَ الضعيف بمحنة
بها فاض همّى يائساً وتناهى

فى السجن ! . . .

لــه بفــــــؤادى لــذّة ووجـــــــــيبُ
وفــــيـــــه لقلبى بلسم وطبــيــب
مـــــلأت به الـدنيـــا هوىً وصـــبــابةً
وهـلهـلت فـــيــــــه الحب وهو جنيب
ومـــا صـــدّ عنى أو لَوىَ دون حـــاجـــتى
ولكـن أخـــلاق الجـــمـــيـل غـــريب
تـهـــــدهده كــــالطـفـل إن آنّ أوشكـا
ويغُـــرى بـك الأشـــجـــان وهـوطروب

* * *

لقـــد شــبــعت فيّ الأعـــادى شــمـــاتةً
وبتّ ومـــالى فى الـوجـــود حـــبــيب
وأصـــبـحت مـــســجـوناً بـدار بعــيـدة
تجـــافى بهـــا خلٌ وبان قـــريـب
أأصـبـح مـــسـجـــونا ومـاكـنت مـذنبـا
ولا حـــزبتنى فى الحـــيـــاة ذنوب ؟ . .

* * *

وإخــوان ســجن قُـبِّـحت من وجــوههم

همـــــومٌ تـوالى دائمــــــا وخـطـوب

فــمنظرهم أضــحـوكــة كلبــاســهم

ومـــخـــبـــرهم فى الحـــادثات رهيب

لقــد كنت فـيهم يـوسف السـجن صالحــا

أفـــســـر أحـــلامــاً لـهم وأُصــيب

وكم لـيلة في الـسجن بين صبــاحـهــا

وبين دجـــاهـا مـــشـــرق وغـــروب

فــيـحـيـا رجـاء فى الحــيــاة مــوســوس

ويمحى بهـــا فـــجــرٌ أغــرّ قــريب

وكل ضـــيـــاء فى الغـــيـــابة خــادع

فــفــجــر الأمـــانى للـســجين كــذوب

لـنـا هجـــــرة في الـهم لـم نَـدْرِ عندهـا

مـــتى تنتـــهى من هــولهـــا ونــؤوب

السجن أحب إليّ . . .

لُذْتُ بالسجن بقلب بَهِجِ
مرحبا بالضيق دون الفرجِ
ههنا داري وأهلي ، وهُماَ
كل ما أرجو ليوم الحرج
ولج السجن يرى طاهر
وأخو زلاته لم يلج
ناء بالأبرار عن جناتهم
إن رب الفسق مبرور نج
هكذا الدنيا رأينا ليلها
في صباح واضح منبلج

* * *

أيّها الورد انتحر لا تتئدْ
قد تجافى دهرنا بالأرج
أيها الطير إلي الموت فقد
صمّت الآذان عن كل شجِ

* * *

أنا من قـــالوا خـليعٌ مـــرح

وطـوال العـــمــر لـم أبتـــهـج

غـصّ بـالـوثبـــة مـنى أعـــرجٌ

فـــرمـــانى حــقــده بـالعــرج

مـــا أصـاب الخــيـر في مـصـر سـوى

ســـاقـطٍ فـى كـل دَرْك ســـمـج

والـــذى خــَلـد مـــن آثـارهـــا

حـــجـــر يـفـــدى بـحـــرّ المهج

ربٍّ لا نـشـكـو ، فـكـم مـن مـــحـنٍ

لـم نجـــد فـى كـــربـهـــا مـن فـــرجِ

قـــد فـضـضـنا ســتـرهـا فـانكشـفـت

مـن يـرح فـى هـجـــــرة الـهـمّ يـج

سرقة لحافي ! . . .

(سرق لحاف الشاعر البائس الوحيد الذي كان يتدثر به في ليالي الشتاء الباردة فرثاه بهذه القصيدة) .

لحــافي ، وهل غـيـر الـهـبَـاء لحـافي ؟ . .
بقــــيَّـــــــةُ نَسْجٍ دَارسٍ ونداف
أطافَ به لصٌّ فـقـيـر كـعـيـشـتي
فـيـا بُؤْسَـهـا من هجـرة ومطاف
ولم أخش من ذا الرزء إلاَّ فـضـيـحـتي
بأني قـد ملَّكتُ شـرّ لحـاف
فليـتك يالصى الجـرىء وجـدتني
غنّيـا وسـعـدي في الحـيـاة موافي
ويا ليـتني مـا كنتُ صـيـدك إنمَّا
سـرقتَ لحـافي جـاهداً وشـغـافي
ويا ليـتني دون اللحـاف ضـحـيـة
فـإني صـديقٌ في الحـيـاة مُـوافي ! . . .

* * *

فَكم ليلة تحت اللحـاف قـضـيـتُـهـا
أُسـامـر أحـلامي وطيفَ سُـلافي

وكم ذا وقـــانى الـبـــرد في جُنح لـيلـة
بـهـــا الموت من كـل المواجـع شـــاف
لقـــد ضـــاع منى ذا الـغطـاء ، فــهـل ترى
أُدَثَّرُ شـعـــرا ضَــافـيـــاً وقـــوافى ؟! . .

شياطين الملائكة ! . . .

سلى فـــؤادك عنا لا تلومـــينا
ولا يجـــا فـــيك منا قـــول واشـــينا
عـــدا الشـــقـاء على الدنيـــا فـغـيّـرها
ولم يـغّـيـــر بهـــا صـــفـــو المحـــبـــينا
وخـلّـف الـروض إلاّ بـانـهُ حـطبـــــاً
وكـــان مـــخـضـــوضـــراً يهـــفـــو رياحـــينا

* * *

يا ظبـــيـــة القـــصـــر مـــا أشـــجـــاك فـــاتنة
تـركـــتـــنـــا بالـهـــــوى نبـكـى وتبـكـينا
أعـنـو لمغـنـاك إذ عـــــــزّ الخـلـيـط بـه
وأجـــتـنى حـــبـــه مـــهـــمـــا نأى دينا
لـكنّ لـى ذمـــــة من بات يـخـــفـــرهـا
سـقـيـتـه قـاسـيـا مُـهْـلاً وغـسـلـينا

* * *

رأيت منّا عـلى الـبلـوى مـــــــلائـكـة
فـــمـــا يضـــيـــرك أن كـنا شـــيـــاطينا

وقــد أريناك من وحى النهى عــجــبــا
فــمــالنا فى الهــوى صــرنا مــجــانينا ؟ . .

* * *

لـم نرتـقب فــرجــا فى يوم كــربتنا
إلا وكـــان لنا ضــيـــقــا يواتينا
ولا اســتــغـثنا طبـيـبـا فى مـواجـعنا
إلا المنـايا نـرَجِّـى أن تـواســــينـا
لـم يخلـق الحـــزن إلا في جـــوانحنا
ولا المدامع إلا فى مـــآقـــينـا ! . .

فى قريتى . . .

« زار شاعر البؤس عبد الحميد الديب قريته كمشيش سنة ١٩٤٠ بعد عشرين عاما منذ تركها واستقر بالقاهرة فأوحت إليه الزيارة بهذه الخواطر الحزينة الباكية . . . . » :

تغـيـرّت يـادنـيـا ،فـأين مـضـى أهلى ؟ . .
وأيــن ديــار لــم تــذُقْ نُــوَب المخْــل ؟ . .
وأين جــوامــيس سُــمــانٌ حلوبةٌ ؟ . .
وأين جِــمــالٌ لا تُراعُ من الحــمل ؟ . .
وأين حــمــامــاتٌ هَتــفْنَ عــشــيّــةً
تنوح على إلفٍ وتبكى على شمْل ؟ . .

* * *

ســريتُ فــمــضّــيت السُّــرى فــى مــســرّة
وبَــرّحَ بــى شــــــــوقٌ إلــى رؤيــة الــكُــلِّ
فــلم أرمــنهــم غــيـــر أخــت حـــزينة
براهــا الضّنى مــن غــمــرة البــؤس والثُّكْلِ
عـــمـــيتُ مــن البلــوى فــلم أدْرِ ذاهــلاً
أخــى مــن ثوى بــين المـقــــابر أو نجلــى ؟ . .
أقـــامــت بنا الأيـام حـــربــا فــلم تَدعْ

بقـــومى من شـــيخ يدبُّ ولا طفل

إزاء قـضـــاء الله أصـــبـــحت حـــائرا

أقـــصـــِّرُ فى مـيـــدان عـــيــشى أم أُبـلى ؟ . .

وداعاً شبابى ! . . .

وداعـــاً شَـبــابِى فى ربيع شــبـــابى
وأهْلا حـــســابى قــبل يوم حــســابى ! . .
ومـــا يبــتــغى من عـــاش غــيــر مُــوَفّق
ثلاثين عـــامـــاً فى أسى وعــــذاب
بنىَ فـــوق دار الشـــمس دَارةَ مـــجـــده
فـــســاكنه فــيـــهـــا نَذيرُ خـــراب
طلعتُ على الدنيـــا فــلا النُّورُ فى الدجى
ولا الروضـــة الفَـــيــحْـــاءُ وسط يبـــاب
ولَكن حظى بـدَّل النور ظُلمـــــــــةً
وبدّل مـــا أشــدُو نعـــيب غُــراب
ويــؤتُ مـــن الأيـــام وهـــى هـــوامـــعٌ
بحظ العطاشى من جـهـــام ســحـــاب

* * *

أمـــانىّ تغـــريهـــا الخُطوب رأيتُــهـــا
كـــأشْــلاء قَـــتْلى فى رؤوس حِــراب
ولـــو أنَّ وهّـــاب الحـــظـــوظ أراد لـــى
ســـلامـــة إحـــداها لخــــفَّفَ مـــا بى

ولكَّنهـــا مـــاتتْ بليلة عُـــرســـهـــا
ومن دمـــهـــا الغـالـى تخِـذْتُ خِـضَـابى ! ..

حرب الأصدقاء ! . . .

(كان الشاعر يضيق أحيانا بدعابات أصدقائه فيثور عليهم ويطلق سلاح شعره عليهم يمزقهم شر ممزق وهذه القصيدة ثورة صاخبة على أصدقائه . . الذين كانوا يتخذون من بلواه فكاهة وسمرا فى مجالسهم وقد نظم الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٤٠ يتيه بها عليهم بفنه وعبقريته :

عـــــــزّتـكـمُ الـدنيـــــا وهُنّـا
فـــرقـــصـــتـمُ طيـــرا وغـــصنا
مُـلّكـتـــمـــوهـا بـالـغـنـى
ومـلكـتـــهـــا شـــعـــراً وفنّا
أنـتم مـــشـــيـب فى الـصـــبـــا
وأنـا الـشـــبـــاب كـــبـــرت سنّا

* * *

عـــشـــرون عـــامـــا والـزمـــان
يـؤودنـى ضـنّـا وغـــــــبـنـا
وتجـــــــــدون هـــنـاءكـم
وأجـــــدد الأحــــزان حـــزنـا
وأنـا لـكـم فـلـك الـنـجـــــاة
وكـم بـكـم أغــــرقـت ســـفـنـا
يـا لـلـغـــريـق إذا اســـتـــغـــاث

بقـــــــــادر فـى الـيـمّ ضـنـا

لا تمـلـكـون ســــــــوى المـلام

ومـــــــــا ضـلـلـنـا أو أثـمـنْـا

★★★

أبـنـى لـكـم صـــــــرح الـوداد

وكـم حـطـمـــــــتمْ منـه ركـنـا

كـم مـن صـــــديـق شــــامـنـى

أبكـى مـن الـبـلـوى فــــــغـنـىً

كـم شـــــامـتٍ قـــــد ســـرّه

قـلقـى بعـــيـــشى فــــاطمــأنـا

هـي هـدنـةٌ فـى مـــــــحـنـتـى

إن عُـــدتمُ للحـــرب عُـــدْنـا ! . . .

القدر المذل . . .

أسْلَمتُ للقدر المذلِّ سلاحي
وجَرتْ علَى مَشيئةُ السَّفّاح
مُستضْعَفٌ يُحْنى علَىَّ كأنَّني
يُتْمٌ يُدلَّلُ في حُجُور سِماحِ
يامِحْنةً أكَلَ الشَّقاءُ شَبيبتي
فيها ، ومزَّقت الخُطوب جناحي
ولَبستُ بَاليها بعُرسي مكْرهاً
وشربت آسِنَها مُعتَّقَ راَح
في أسرة ترجو المعيشة قُنَّعاً
بالخبز مُؤتدماً بماء قراحِ
ولها سوى حرب الشعوب حروبُها
والدهر عزلاء بغير سلاح

* * *

جُرحان في كبدي لفرط صَبابتي
ولِشقْوتي والناس جدّ شحاح

ولو أنهم جَرحَى خُطُوب زمانهم
مَنْ ذَا يقيسُ جراحهم بجراحى ؟ . .
لا تَعتبوا بخلى بدمعى صابراً
فَيضُ الدُّموع بمُقلة التِّمساح
أنَبتُّ فى الأَخلاق صدقَ «محمد»
وَجَنيتُ كذْب (مُسيلم وسجاح) ! . .

* * *

أشكو إلى الأخلاق غرّاً والغاً
فى الإفك رَغمَ هدَاية النُّصاح
كَمْ ذا أقلتُ عِثَارهُ ورحمته
فارتد يهجو نعمتى ويُلاحى
نَبغَ النُّبوغَ اللّغو فى تهريجه
ومن الطَّغَام مُهرِّجُ الأفراح
تخذوه تسلية الندىِّ وحسبُه
هُزء الضَّحُوك ونكتةُ الفضّاح
مِنْ مَعْشرٍ أكلوا « الجراية » قَنَّعاً
بالخبز مُؤتدماً بماء قراح
ظفروا على الأحداث جُنْدَ مُوَفَّقٍ

للمال أو خدماً لدى مسماح

إن كان هذا الفحش خِفَّة روحه

فمن الحماقة خِفَّة الأرواح ! . .

* * *

ما كان ضَرّكَ لو رعيت كرامتى . .

ورحمْتَ تبريحى ، وطُول نُواحى ؟ . .

وأنا الذّى لبس النّجُومَ قلائداً

وزكا غُدُوِّى فى العُلا ورواحى

وطَلَعتُ فى محْل الخلائق واكفاً

ومَحا ظَلاَمَ المُعْتَفين صباحى

أيُباحُ عرْضى فى سفاهك بَيْنَمَا

عرْضُ الأذلِّ الغرِّ غير مُباح ؟ . .

وأشدُّ ما ألقاهُ يوم رزيئتى

أنَ أجعل الهجو الوجيع سلاحى

مِن قَبْل يوم البعْث لُؤْمُكَ باعثٌ

فى كُلِّ يوم حَامِل المصْباح

* * *

نَحُن الملائك والملوكُ ، وحَسْبُنا

بالشـــعـــر تزكـــيـــةٍ ونيْل وشـــاح

يا مِـــحـنَةَ الأدب الـرفـــيـــع بمعـــشـــر

جـــعلوا الســـفـــاهـة آية الإفـــصـــاح

لا يصْـــدعُ الـزَّبدُ الجُـــفـــاءُ ســـفـــينةً

والبـــحـــرُ طوْع رغـــائـب الملاَّح ! . . .

بين السكر والصحو . . .

يقولون سكير فهل شربوا كأسي ؟ . .
وهل شربوا البلوى كما شربت نفسى ؟
سمت بي غداة العمر نفس رضية
فأوسعها دهرى من الهم والبؤس
مضى الشعب عنّى غافلا ، فجزيته
على حسّه الغافى بمختبل الحسّ
وإن أصْحَ ألفيت الحياة مجانةً
بها مأتمى الباكى يقوم على عرسى
فسكرىَ صحو فى بلادٍ أرى بها
حياتى لم تنجح على الطهّر والرّجسِ

* * *

إذا قلت قدّيسٌ ، يقولون سادرٌ
وإن قلت حيٌّ ، يحملونى إلي رمسى
معاذ قصيدى أن أعيش مشرّداً
وأحرم جَنْى الرزق من شرف الغرس
تحدّيتُ أيامى وقومى بوحشتى

وكـــم وردوا مـــنّـــى مـنـــاهـــل لـــلأنـــس

لقـــد جـــهلـوا يومى ، ولن يـكرمـــوا غـــدى

وياحـــرَّ قلبى من شـــقـــائىَ فى أمـــسى ! . .

صرخة شاعر ...

مَـا بـالُهمْ سكتـُـوا كــأنْ لم يعــرفـوا . . .
هذا الضــحى والشــمس فَلْيــتـشـوَّفُـوا
ضَنُّـوا علـىَّ بكثــــرهـمِ ويقـلّهـم . .
وســـواى لو طلب المعـــونة أســرفـــوا
لا تُبـــهِـــمُـــوا ياجِـيــرتى أحكامـكمْ
فى مـــحنتى ، فلتــعـدلوا أو تُجْـحـــفُـوا
لا تُـســمـــعـونى نوْحكُمْ لشــقـــاوتى
وتَرنَّمُـــوا بين الحـــوادث واعـــزفـــوا

* * *

مــــا بال من عــرفـوا ألِيمَ خـصَـاصـتى
ورقــيق حـالـى ليس فـيهـمْ مُـسْـعفُ ؟ . .
من كــــان يقــــدر أن يُفَــــرِّجَ كــربتى
ويُـنيـب مــــدمــــعـــــه فظلمٌ منصف
يتـســمـــتــعـــون بمدمـــعى وشكايتى
والـبـــدر سلوى للورى إذ يُخْـــســف
ولـربمـا غــــــدت المـواجع سـلـوةً
للـمـــتـــرفين ومـــتــعـــة لا تـوصف

ولقد تَسلّى العين وهي قريرةٌ
بمن اغتدى في قيد سجن يرسف

* * *

أأرى ذئاباً ؟ . . أم صحاباً ؟ . . إنهم
وجميعهمْ في الخطب لم يتعطفوا
«بارَ اللواء» جمعت بعض كتائب
والحقد فيهم مستبدٌ مُشْلِفُ
وقفوا كما وقف الزمان بمحنتي
لدمي البري جميعهمْ يستنزفُ
أأعيش بينهم شقياً معدماً
وهمُ غنيٌّ ناعمٌ وموظّفُ ؟ . .

من أنا ؟ ! . . .

صحوتُ لم أجد الدنيا فأين غدت ؟ . .
وليس يبدو بها أهل ولا دارُ
الذئب تأكله شاةٌ لجوعتها
والماء ترعاه فى أحطابها النار
وقد غدا المال نهب الباخلين به
والمجد يحضنه فى شأوه العار
فهل تغيرت يادنياى أم عميتْ
عينى فليس بها للخلق إبصار ؟ . .

* * *

مرّ الذى كان حلوا في فمي ودجَتْ
فى الليل والصبح بين الكون أنوار
فلا جمال ولا نور ولا مُتعُ
ولا حياة بها عيش وأعمار
كأننّا فى وعيد الله تغمرنا
حال من الخوف نخشى دونه النار
فما تغيّر شئ فى الوجود عدا
نفس يحطمها بؤس وأكدار ! . .

* * *

الـنـاس فـى كـل يـوم بين عــــــيــــــدهـمُ
ودمع عـــيـنى بيـــوم الـعـــيــد مــدرار
وكـل ذنبى أنى كـــالـذى زعــــــمـــــوا
ضـــحـــيـــة غـــالهـــا فنٌّ وأشـــعـــار ! . .

صبر البائسين . . .

إلى جِـــوار النَّدي لـلبــــائس الحـــافى
ثُمـــالة الكأس لـلمـــحـــروم والعـــافى
قـــالوا الحــفـــاء ، فـــقلنا لا يضـيـــركم
مَـنْ يأمـن الموت جـــوعـــا أنه حـــافـى
الشــعب جـــوعـــان لم يشك الحــفـــا أبدا
ولـمْ يمـدَّ لـكـم رجْـــــلاً لإنْـصـــــاف
فـقـــد يـبـيـع الحـذاء الفـخم صـاحـبـه
لـينقـــــذ الـنفس من جـــوعٍ وإتـلاف

* * *

وفى الـبـــلاد عـلى خـطب الطَّوى صُـبـــر
وليس كــالـصّـبـــر فى خطب الـطوى شــافي
ولابـسـين عـلـي فـــــقـــــر جُـلـودهـم
لا يـلـبـــســـون ســوى مـــا حـــيَّـــر الـرَّافى
هذا هـو البـــؤس ، لا حـــاف ومُـنـتـــعـلٌ
والجـــرح لكنه عن طـبِّـكم خـِـــافى ! . . .

---

* يهاجم مشروع الحفاء فى عهد الملك فاروق .

حنين . . .

الوالدان هلكت بعدهما
من لى على رد الأسى بهما
أستوحش الدنيا كراهية
مذ ذقت كأسى من فراقهما
من موقظٌ أمى لأسمعها
قلباً يذوب لموتها ألما ؟ . .
وأبثّها لهَفى لرؤيتها
وتحّرقى أن أبلغ العدما
فأعيد أفراحى بحضرتها
وتدلّلى فى البيت محترما

* * *

أمّى . . إذا أصبحتُ نافلةً
لم تلفنى إلا فتى علما
وإذا لحانى الناس كلهمُ
أضفتْ علىّ حنانها كرما
وإذا افتقرتُ وجدت رحمتها

قـــد أمطرتنى اليـــســـر والنـعـــمـــا

وأبـى ومن يـحـــيـــيـــه لـى لأرى

وجـهـا كنور الشـمس مـبـتـسـمـا ؟ . .

وأرى بـرؤيـة وجـــهـــه لـهـــفـى

وأطـالـع الدنـيـــا به قُـــدُمـــا

مـــا شُــمـــتـــه يومـــا تجـــهّـم لى

مـــهـــمـــا تجلَّى الخطب أو عـظـمـــا

آه ، وهـل ألـقـــاهمـــا يقظا ؟ . .

أو نائـمـــا ألقـــاهمـــا حـلـمـــا ؟ . .

الـوالـدان هـلـكـت بـعـــدهـمـــا

مـن لى عـلى ردّ الأسـى بـهـــمـــا ؟ . .

أين الدنيا ؟ . . .

صحــوت لم أجـد الدنيـا فـأيـن غَـدتْ ؟ . .
هل اســتــحــالت إلى حَــدْسٍ وأوهام ؟
أم اســتــحــالت إلـى نوْمـانَ عـيَـشــتــه
من فــرط أوهامـهــا أضـغــاث أحــلام ؟

* * *

لم ألفِ ،غـيـر شـخـوصٍ كـالـدمى وقـفـوا
حــيــاتهـمْ وقف عــبّــاد لأصنام
وفــارغـين من الأحــلام قــد علفــوا
بـطـونـهـمْ بـالمطـاهـى عـلـف أنعــــام
قــومٌ عــراض القــفــا دان الغـنى لـهم
وإن أصـــابوه عــن ذلٍ وإرغــــام
جنتت من مـوكـب الأوشـابِ تحـسـبـهـم
مظـفـرّيـن مــشــوْا في خــفق أعــلام
وهم جــبــان ومــشّــاء وداعــيــة
للـعــيـش رجــســا غــريقــا بـين آثام
بينا ترى مــلأ الأكــفــاء قــد دحــروا

والبـــؤس يبـــعـــد من شـــهـــر إلى عـــام

كـــأنما الفـــقـــر للأكـــفـــاء توأمـــهم

فـــالبـؤس كـــالشـــعـــر من وحى وإلهـــام

يارب . . أين رزق السماء ؟ . . .

يارحـــمــــتـــا لـى فى ليـــالى الشـــتـــاءْ
بين العــــــراء الـقـــــر فى وحــــدتـى
جــوعـــان لا أحــيـــا بـغــيـــر الرجـــاء
فـــى مـلـجــــــــــأ دفءٍ وفـــى أكـلـــةٍ

* * *

والنـاس من حـــولى قـــيـــامٌ قـــعـــودْ
يـجنـون ينعـــا من ثـمـــــار الحــــيــــاه
ولـو رآونى أومــــــأوا بالـســــــجـــودْ
يـاذلـة الـدنـيــــــــا لـهــــــــذا الإلـهْ

* * *

تـزوَرُّ عنى الخــــــرَّدُ الـغـــــانيــــــاتْ
لو جـــهـىَ الحـــاكى ســـواد الغـــرابْ
كـــأنما شـــخـصى من الســيـئــــاتْ
تخــــشى بـه الحـسناء ســوء العــذابْ

* * *

يمـر عـــــامى فى طِـلاب الـكـفـــــافْ
وفـى جـــديد الـعـــيـــــد لبس خَلَقْ

أقـــــــســــمت أن «الديـب» حـْلمٌ وطـافْ
وأنـه بـين الـورى مــــــــا خُـلـق ! . . .

* * *

يـارب أين ؟ أيـن رزق الـســــمـــــاءْ؟ ..
وأيـن أنت ؟ يـا إلـه الجـــمـــــيع ؟ . .
أليـس فى إســعــاد عــيــشى رجــاء ؟ . .
أليـس لى فـى عطـف ربى شــــفــيعْ ؟ . .

* * *

خـــذنى إذا مـــا المال أمــسى عــســيــرا
فــالموت خــيــر من حــيــاة الـفـقــيــر
الشـــاعــر الموهوب يحــيــا فــقــيــرا
ومـــاله فـى شـــعـــبـــه مـن نصــيـــر

أجـرة الســكـن . .

(كان شاعر البؤس يقطن بغرفة بحى الحسين وبالرغم من تواضع أجرها إلا أنه كان يعجز عن سداده) .

ثمـــانون قـــرشــا أهلـكتنى ، كـــأنـهـــا
ثمـــانون ذنبـــاً فى ســـجلٍّ عـــذابى
طويـتُ لهــــا الدنيــــا ســـؤالا وكُـــديةً
فـــمـــا ظفــرتْ نفـــسى بردّ جـــواب

* * *

لُعنتْ كـــراء البـــيت ، كم ذا أهنتنى
وأَذلـلت كِــبْــرى بين كل رحـــاب
لأجـلك إمـــا أن أبيع كـــرامـــتى
وإمـــا أفـــديّهـــا ببـــيع ثيـــابى
فـــفى كل شـــهـــر لى عُـــواءٌ بموقف
يبـــاعـــد عنى أســـرتى وصـــحـــابى
وطول ليـالى الشـهـر يهـتـاج مضـجـعى
مـــخـــافـــة ربّ البـــيت يطرق بـابى
يطـالبنى فى غلـظة ، فـــأُجـــيـــبُـــه

إجـــــابـة مـن يرجــــــو يداً ويـحـــــابى
ألا سـكـنٌ مِـلـكـى ولـو بـجـــــــــــهـنـم
وأُكْـــفَـى من الأيام شــرَّ حــســـابى ! . .

أجرة المنزل بين شاعرين . . .

أرسل الشاعر (عبد الحميد الديب) إلى صديقه الشاعر محمد الأسمر رسولا بخطاب فيه أن مالك البيت الذى يسكنه أوقع الحجز على أثاثه ومع الخطاب الأبيات التالية :

ياصاحبى حجز الغريم ولم أجد
فى الناس من بيع الأثاث مجيرى
وغداً سيفضحنى ويفضح عيشتى
نذل يبيع حشيّتى وحصيرى
والناس قد جمعوا إلينا شامتا
أو باخلاً يسخو بكل مضير
ليروا مبيتى بالعراء وزوجتى
حيرى لبؤس مصيرها ومصيرى

فبعث إليه الشاعر محمد الأسمر مع رسوله بالأبيات الشعرية التالية :

قد بعثنا إليك شيئا يسيرا
فتقبّله شاكرا أو عذيرا
لو حبانا الزمان أكثر منه
لحبوناك منه شيئا كثيرا
كم بنيت البيوت فانزل بما شئت

وطُفْ بالجـــمـــيع دوراً فـــدورا
كـــيف تـشكـو ياديب مـــارحـت تشكوهُ
وأنـت الذى يـشـــيـــد الـقـــصـــورا
ليت شـعـــرى مـــتى أقلـب عـــينىَّ
فـــلا أبـصـــر الأديب فـــقـــيـــرا
أنـــت " يـــاديـــب " بـــا أديـــب غـــنـــىّ
بالـقـــوافى وإن رهـنت الـحـــصـــيـــرا

مناجاة حبيب ...

(يناجى الشاعر زوجته " إحسان " وهي مريضة فى صبيحة يوم العيد)

يــا مُـطـلـقـى مـن إســـــــــــارى
يامطـفـــــئــــا حَـــرَّ نـارى
هــزمــت دهــرى بــثــــــــــــارى
وصــــنــــــت دهــــــرى ودارى
فـــأنـت كـل حـــــيــــــاتـى
سـلـمت لـى يـا حـــبـــيــــبـى
ســــلــــمـــت مـــن كــــل داء

* * *

فـــــوق الـســــريـر ضـنـاك
يـاورد أيـن شــــــــذاك ؟ . .
يـــابــــدر أيــن ســـنــــاك ؟ . .
روحــى وأهــلــى فــــــــداك
فـــأنـت كـل حـــــيــــــاتـى
وأنـت فـــــجــــــر هـنـائـى
سـلـمت لـى يـا حـــبـــيــــبـى

ســـلـــمـــت مـــن كـــل داء

* * *

مـــــــا قلـت تشـكو الـضنـى

آه ، وقـــلـــــــــت أنــــــا

آه لـــــطـــيــب الجـــنـــى

آه ، لـفـــــــــيـض المـنـى

فـــأنـت كـل حـــيـــاتـى

وأنـت فـــجـــر هـنـائـى

* * *

ليـلٌ كـــيـــوم الـوعـــيـــدْ

طـــولا وعـــنـــه يـــزيـــدْ

الـــنـوم عـنـه شـــــريـد

والـصـــبـح مـيْـتٌ شـــهـــيـد

فـــأنـت كـل حـــيـــاتي

وأنـت فـــجـــر هـنـائـى

* * *

أضـــفـى عـليـك الشـــحـــوب

لـونـا كـلـون الـغـــــروب

مــــــــا كـــــــان قـلـبـى يـذوب
فـــــأنـت كـل حـــــيـــــاتـى
وأنـت فـــــجـــــر هـنـائى

* * *

ضــــــحـكـت تـدفـع عـنـى
مــــــا نـال مـنـك ومـنـى
ضـنـاك قــــــد هـدّ ركـنـى
وكــــيـف يـضـــحـك حـــزنى ؟ . .
فـــــأنـت كـل حـــــيـــــاتـى
وأنـت فـــــجـــــر هـنـائى

* * *

ذبـلـت مــــا عـــدت تقــــوى
وبـتّ طيـــفـــا ونجـــوى
فـــبـــات جـــســـمىَ شلوا
وبـتّ لـلـهـم نِـضْـــــوا
فـــــأنـت كـل حـــــيـــــاتـى
وأنـت فـــــجـــــر هـنـائى

* * *

كـل الأنام صـــــحـــا
فـى مـــهـــرجـــان الضـــحـى
والأنــس عـنـى انــتــــحى
والــهــم بــى بــرّحـــــا
فـــأنت كـل حـــيـــاتى
وأنـت فـــجـــر هـنـائى

***

تـرنـو لــلـبـس الجـــديـد
رنـوا يُـلـين الحـــديـدْ
شـــفـــاك يوم ســعـــيـد
فـــأنـت لـلعـــيـد عـــيـد
فـــأنت كـل حـــيـــاتى
وأنـت فـــجـــر هـنـائي
سـلـمت لـى يا حـــبـــيـبـى
ســلـــمــت مـــن كـــل داء

محنة بؤسى !...

أفنى صبوحى فى المنى وغبوقى
انى امرؤ كسدت بقومى سَوقى
زعم العواذل أن سعيى مُخفقٌ
والنحس توأم عيشتى ورفيقى
لولا مناوآة الزمان لهمتى
أزرى بنور الشمس نور شروقى
أقسى علىّ من الخطوب تبرُّمٌ
بى من قريب عاطف وصديق
ضاقت وجوه العيش دونى بعدما
هضمت لئام الناس كل حقوقى
وعقت ذلى فاستترابوا بينما
نسبوا إلى لؤم الطباع عقوقى
وإذا انبرى الحنّانُ يكشف كربتى
جرحوه واحتسبوه شرّ شفيق

* * *

يامحنةً أكل الشقاء شبيبتى

فــيـهـــا ، وهجّنت الخطوب عَــريـقى
ولبــســتُ بـالـيــهـــا بعُـــرْسى مكـرها
وشــــربـت آسنَهـــا عـــتـــيقَ رحَـــيق
لو لـم يكن نُبْلُ الحــيـــاء طبــيـــعـــتى
أقـــسـمت مـــا عـــرف الشـــقـــاءُ طريقى
فـــبكـل مـضـمـــار سَـبــقْتُ ، وإنـنى
لأعــيش عــيشـة خــاسـرٍ مـــســبــوق
مـــحنٌ لهـــا عـــزم الجـرئ وصـــبــره
والصـــبــر أجـــمل مـــا يفـــرّج ضـيـــقى

ورقائى الذبيحة ! . . .

ذبحـــتك ورقـــائي وأنت هتــــوفُ
وعـــذل الشـــجىّ المســتــهـان يحـيفُ
رأيتك دون الـعـــود والماء أطبـــقتْ
عـليك منايا كـــثـــرة وحـــتــوفُ
وقـد جنّ فـقـرى والهــوى فـيك قــاتلى
وأشـفـــقت أن تقـضى عليك صروف
وفـيك لزوجٍ مـوسـرٍ كلُّ مـتـعـة
ومـــازلت بدرا لم ينلـه خـســـوفُ

* * *

خلقت لقــصــرٍ بالثــراء مـضـمّخ
وبيـــتى قــفــر ليس فــيــه رغــيف
ســأحـمـلـه جـرحـا لـبـعـدك قــاتلا
وأنجـــيك من عـطف عـلىّ يخـــيف
وأشـــربهـــا كـــأس الفـــدائىّ فى الردى
إذا مــــا أباهـا صـــاحب وألـيف

---

* يناجى زوجته ناعياً لها حظه ، ومشفقاً عليها من بؤسه

فقالت بحسبى منك قلبٌ ونظرةٌ
وأنك فياض الوداد عطوف
ومالى بالزوج الغنىّ وماله
قرين إذا لجّ الخصام شريف
يمنّ فلا يبكى من الحبّ ذرةً
ويدنو ومالى من جناه قطوف

طل الندى . . .

يا رحـــــــيق الورد يا قطر الندى
كم ســـقى عطفك من قلبي الصـــدى

* * *

أنت يا قطر الندى درٌ مـــــذابْ
أنت أحلى من رحـــيقٍ أورضـــابْ
ياصـــفـــاء الماس ياالطفّ الحـــبـــاب
يا دمـــوع البـــشـــر من خـــود كـــعـــاب
يا رحـــــيق الـــورد ياقطر الـــندى
كم ســـقى عطفك من قلبي الصـــدى

* * *

غّنت الورقـــــاء والشـــــمس نؤومْ
في صـــبـــاح قـــد هوت فـــيـــه النجـــوم
فـــإذا قلبي بحـــسنائي يهـــيمْ
بـــين عـــطـــر الـــورد أو قـــطـــر الـــندى
يا رحـــــيق الورد يا قطر الندى
كم ســـقى عطفك من قلبي الصـــدى

* * *

أنت أغريت حبيبى بالبكور

ليحيّيك بأهداب الزهور

ويندّى القلب من شدو الطيور

ويلاقينى على شطّ الغدير

بين عطر الورد أو قطر الندى

* * *

لست بالطارق حانا للصبوحْ

أنا من لقياه نشوان مروحْ

كل خمرى منه ألطاف وروحْ

وانجذابٌ وهيامٌ وطموحْ

وجنون بين ورد وندى

يارحيق الورد ياقطر الندي

كم سقى عطفك من قلبى الصدى

* * *

فتح الأكمام إشراق الحبيب

حسنه يضفى على الوردة طيبْ

ويساقى الغصن أعطاف الندى

يا رحيق الورد يا قطر الندى

كم ســـقى عطفك من قلبى الصـــدى

* * *

حـــالت الحــرب فـــمـــا إن نلتـــقى

غـــيـــر أطيـــافٍ بحلم مـــغلـق

هـو فى المغـــرب في عَـــيشٍ شـــقى

وأنـا أهـفـــــو لـه فى المشـــــرق

وكـــــلانا ذاكـــر عـــهـــــد النـدي

* * *

يـالـه عــــهــــدا عـلى طـول الـزمـنْ

قـــد طـويناه كـــأحـــلام الوسـنْ

بـين ليـل ســــرنًا فـــيـــه كَــمَـنْ

وصـــبـــاحٍ كل مـــا فـــيـــه حـسَنْ

رقت النـــســـمـــة فـــيـــه والندى

يـارحـــــيـــق الـورد يـا قـطـر الـندى

كم ســـقى عطفك من قلبى الصـــدى

---

* نظمها الشاعر عام ١٩٤٠ أثناء الحرب العالمية الثانية .

العيد الحزين ...

عــيــــد يُطـالعنى والـعـــيش مـنكـودُ
لأنـت يوم الأسى والحــزن يـاعـــيـــدُ
يُـجــددُ الـنـاس من لـبس ومن فـــرحٍ
وعـنـدنـا لـلأسى والهـمّ تجـــديد
المسلمـون وقـد عـشنا خـيـار همـو
كـأنّنا بينهم فى عــيــدهمْ هـود
لو أنصف الناس مـا ضحّـوا بشـاتهـمـو
بل كـان قـربانهمْ للمُـعْـتَـفى جُـود

في المستشفى ! . . .

(كسرت ذراع الشاعر فى موقف نجدة فطوى أيام العلاج على سرير بمستشفى قصر العينى وكان سريره هو اليتيم أيام زيارة المرضي فأنشأ هذه الأبيات يعتب فيها على زوجته إحسان لأنها لم تزره ولم تواسه فى بلواه) . . .

هل بالديار لهـــذا الصبّ من باكى
ردى علىّ فأنت الصوت والحاكى
لو كان في الحب عدلٌ ما شقيت به
فقد عشقتك فى يمنى وبلواك
حتى إذا ما سقانى الحبّ محنته
حرمت عينى من رؤيا محيّاك
وبتّ فى القصر تزجى آهتى مقلا
بالدمع أو مهجا بالصارخ الشاكى
ومات جارى وجارى لم أصخ لهما
فقد فقدت لسقمى كل إدراك

* * *

كل المكاسير زارتهم أحبّتهمْ
ولم يزرنىَ إلا طيف نجواك
قد ذقت لذة توحيدى فما نفعتْ

فـاليـوم أسـقـيك عـدلاً كـأس إشـراكى
أرى بهـجـرك جـلاّدى ومـقـصلتى
مـتى وأين إذن ياليل ألقـاك ؟ . .
أزيد لى في الليـالى ليلة الشـاكى
جنت حـيـاتى في وردى وأشـواكى

* * *

لو وازنت قـسـمتى فى العيش موهبتى
لما جـرى قـدر فى غـيـر أفـلاكى
لكن مـا ظنّ عـدلا كـان يظلمنى
ذبحـا لروحي وتنكيـلا بادراكى
كم مـشـهـد سرت فـيـه ملتقى غـيـر
من ظلم مـضطهـد أو زور أفـاك

* * *

شـمـاتة العـاذلين السـود تلفـحنى
فى كـل مـضطرب للصـوت والحـاكى
أصـبـحت أنكر حـتى من رثى وبكى
وكم ذكت حـرقـتى من مـدمـعى البـاكى
فـمـادح مـوهبـاتى مـهـدر شـرفى
الغـصن فى راحـتـيـه نصل سـفّـاك

إذا كـــشـــفتُ نـوايـاه أرى صـــدراً

من عـــاطش لـلأذى فى لؤم ضـــحّـــاك

يقضّ مـضـــجـــعـــه شـــعـــرى ومنزلـتى

فـــلا يـودّ ســـوى بـؤسى وإهـلاكـى

* * *

إحـــســـان لا تفـــرقى من مـــحنتى وثـقى[1]

أنـــى عـــلـــى الـــرغم مـــن بـــلـــواى أهـــواك

ولا ترعْـك تجـــاعـــيـــدى فـــإن بـهـــا

سطـور غـــيب أجـــافـــيـــه بإشـــراكى

---

١ – السيدة إحسان أحمد زوجة الشاعر يومذاك .

أنا غريب . . .

كان بعض أصدقاء الشاعر يداعبونه دعابة قاسية ويتخذون من مأساته ملهاة وأداة للفكاهة فكانت هذه الزفرة الحزينة :

تملّـون من وصـلى ويغـــضــبكم صـــدى
فـــــواحـــيـــــرتى بـين العـــــداوة والـود
عـــــــداوة ذى حـــــقـــــد وود منافـق
أأحـيـا صـريعـا للنفـاق وللـحـقـد ؟ . . .
شـربـت كـلا الكأسين سـمّــا وعلقـمـا
فـــلا عـــون من إلـف ولا رفق مـن ضـدّ
ويلـهـــو بىَ الأقـــران لهـــواً ،كـــأنما
أنا الكـرة الهـوجـاء تخطـفـهـا الأيدى ! . .

ثورة بائس ! . . .

(رفض أحد رؤساء الوزارات عام ١٩٣٩ أن يقلد شاعر البؤس عملا بحجة أنه ماجن عربيد فكتب الشاعر هذه القصيدة التى تتضح ألما وتفيض ثورة ومرارة ..)

أيعفيك من دمعى نفورك من ذنبى ؟
دع الذنب يحصيه ويغفره ربى
شربت بكأس أنت منتشئ كرمها
كلانا بها طبٌّ على السلم والحرب
تلوم لتقصى الخير عنّى ، وترتدى
غلالة ذى نسك تعبَّد فى خطبى
أتصبح قدّيساً لتفسق بالندى
وتهبط بالأخلاق عن شرف القلب ؟ . .
إذا كان قطع العيش عنّى هدايةً
ضممنا إلى الأخلاق مكرمة الكذب
أيخذلنى من لو يشاء أغاثنى
ويُبْدلنى أمناً من الخوف والرّعب
وفكّ إسارى حِسْبةً لقصائدى
وإطلاق ورقائي من المحل والجدْب

* * *

أقلنيَ مـن حــــبــــسى علـى الدمـع والأسى
وخـذنى مـدى عـمـرى حبيـسـا عـلى الكتب

* * *

طعْنتَ سلـوكى طعـنة لو ببــعــضــهــا
أُصـيـبت سـمـاء الله قُـدَّتْ مـن الشـهـب

* * *

دعـونـى وخـمـرى إن كـأسى قـيـامـة
من المـوت فى بأسـاء عـيـشى أو كـربى

* * *

تحـيـرت فـى مـصـر فـمـرجـع خـيـرهـا
إلـي ثعـلـب يعـــدو علـى الـنـاس أو ذئب
إذا مــا كــشــفـنـا كـنـزهـا آض تبـــره
لمن لـم يكـنِ منه علىّ مـركـب صـعب
لكـلّ خـمـول أو جـهـول ، وتنتـهى
إلـى يدنـا مـنه الـفـجــائع بـالنَّـدبْ
أعـــوذ بـآلاء الـكـنـانـة إنـهـا
غـدت هَمَـلاً كـالعـيس تعطُـو إلى شـرْب

* * *

أيُجمع قومي أن شعري ملهمٌ
وأغدو عيالاً في طعامي أو شُربي

فيا ذلّها تلك المواهب إنها
أضاعت إبائي بين أهليَ أو صحبي

أتغفل تقديري لشعري وتنبري
لتصديق واشٍ جاء يأفك بالذنب

إذا قلت مظلوم تقولون ظالمٌ
ويصبح مُرّاً في مذاقكمُ عذبي

فإنيَ كالحسناء في بكر حسنها
تُعاف فلا ترجى بعرسٍ ولا حبّ

وكالكنز مرصوداً فليس بنائل
به كاشفٌ يوما سوى صرخة الرعب

أقلني من ذا اللوم حتى تقيلني
من البؤس واتركني لما شاءَ لي ربي !

نشيد الأمل ! . . .

أَعُــودُ إلى الـصِّـبَّـا بعـد اكْـتـهـالـى
فـــقــد أوْفَي عـلى الـدنيــا نوالـى
تفـيـض لىَ الصــخــور أسىً وعـطفــاً
ويُغْــفـلُ مــحـنتى قـــومى وآلـى
فـليت رجـــال أوطـانى صـــخـــورٌ
وليـت الصــخــر قُــدَّ مـن الرجـــال

* * *

أطعــتك "مــصطفى" فكتـمـتُ سـهـمى
فـــمــا أشكوِ منِ المحن الـثِّـقــال
رحــمت خـصـاصــتى وعــرفـتَ قـدرى
وأقـصـيت الحـوادث عن مــجـالى
فلـم أيأسْ وقـــد أذكـيـتَ جَـمْـرى
بآمـــال أشمّ من الجــبـــال
وأقْــتل للـحـجـا والشـعـر شكوى
يـبـينُ خـــلالـهــا ذُلّ الســؤال

* * *

---

* يقصد الشاعر مصطفى كامل الشناوى الذى ألحقه بالتصحيح بإحدى الصحف .

أنـا أغـنى امــــــرئٌ بـدمـى وعـــــــرضـى
وإن جُــــــرِّدت مـن جـــــاه ومـــــال
إذا أنـــا لـــم أنـــل بـــالـــعـلـــم حـظـــى
ســـــأصـــــدر عنـه بالسُّــمْــــر الـعـــوالى
فــــــإن مــــــدّت يـد لأذاى يـومــــــا
ســــأقطـعـــهـــا جـــريـئـــاً لا أبُـالى

قربان البؤس ! . . .

مــرُّوا على الدار يوم العــيــد ضِــيــفَــانا
يرجـــون منهــا نداها كـــالـذى كـــانا
والـدار حين رأتـهم مُـــقْـــبلين لـهـــا
تـعـــاوَرتْ فى البكـا أهلاً وبُنْيـــانا

* * *

يا مــعــشــر الديب وَافَى كـلُّ مـغُــتــرب
إلا غـــريبكم فى مـــصــر مـــابانـاً
ذبحـــتم الشـــاة قُـــربانا لـعـــيـــدكم
والـدهر قـــدمنى للبـــؤس قُـــربانـا

* * *

ليت العـــبـــاد كـــلابٌ . . . إن كلبـــتنا
لمـاّ تـزل لحـــــفـــــاظ الـودّ عنُـوانـا
تحّــملت قـــسْطهـــا فى البــؤس صـــابرة
لم تشـكُ جَـوعــا ولم تَـسـتْـجـد إنـســانا
لم يتــرك الدهرُ إلا شِــيــخــةً عكـفُــوا

زار الشاعر أهله فى قريته كمشيش فى عيد الأضحى فلوحت له بهذه القصيدة

من فـاجـعـات الرَّدى صُـمّـاً وعـمـيـانا
من كـان يحـسـدنى فليـرتقب سـحـرا
أنِّى عـلى الجـوع أطْوى الأرض حـيـرانا
ليـلتـمـسنى لدى الخـمَّـار يحـبـسنى
فى «الـقـسم» آنـا وفى حـانوته آنـا ! . .

شبابى البائس ! . . .

ضـــاقت به الـدنيـــا فكـن رحــبـــاً به
قـــد ذلّ مـن غـــدر الزمـــان وريبـــه
لا تـنكـروا الشـكوى عـلى مـســتـــبـــرمٍ
قلـق الحــيـــاة ، كـــمن يـشـــاك بثــوبه

* * *

أنـا لا أرى لـى فـى شـــــبـــــابى لـذة
لهــفى على مــرح الشـبـــاب وعـجــبــه
من كـــان تـوأمـــه الـشـــقـــاء وصنوه
فـشـبـــابه حــرب ،عليـه كـشـيـبــه ! . . .

* * *

لماذا أعيش ؟ . . .

طلع الصباح على مجالى فضّة
ومطارف من عسجد تتألقُ
واستأنف الناس الحياة ، فعاملٌ
جمٌّ النشاط ، وعاطلٌ يتحرقُ
وأنا أمام الله يوم وعيده
وحدى ، فجسمى بالجحيم يمزّق
ونسخت إبليس اللعين بمحنتى
فبكل آونة هلاكٌ محدق
أخلقتنى يارب أم أنا واهمٌ ؟ . .
أنا ما خلقت لأننى لا أرزق ! . .

فى عالم الجنون ...

رعاك الله «مارستان» مصر
فإنكَ دَارُ عقل لا جنون
حَويْتَ الصابرين على البلايا
ومن نزلُوا على حكم السنين
ومن هبطوا بهم من صَرْحِ عزٍّ
إلى أغلال إذلال وهُون
تراهم خائفين فإن أُثيّروُا
بَمهْزلة فآساد العَرين
وإن سئلوا عَن الأسرار كانوا
كمن أخذوا عن الروح الأمين
وربّ مهرّج منهمْ بقول
يُريكَ الجد فى ثوب المجون
فإن يغضب بقارصة تباكى
فأبكى العين بالدمع الهتُون
يعذبه عبادك كل يوم
ويَصْلَى الضَّيم حيناً بعد حين

وكم في مـــصــــــر من غِـــــرٍّ . . غـــــبيّ
تمتع بالجـــــمـــــــيل وبـالـشـــــمين
ولو عـــــدلوا لأمــــــسى « خـــــانكيـــــاً »
يعـــــذب بالـشـــــمــــال وبـاليـــــمين ! . . [1]

خانكيا : نسبة إلي مستشفى الأمراض العقلية التى يطلق عليها العامة « الخانكة » وهو النطق للكلمة التركية القديمة « خانقاه » .

من الماضى القريب ...

تجـــافت به الدنيــــا فـــعــــاش ذليـــــلا
ولم يـغـنـه فــــرط الـذكـــاء فــتـــيـــلا
ســـــلام على حظٍّ وقـــــفت بقـــبــــره
أنـوح عليـــــه بـكرةً .. وأصــــيـــــلا
رجــوت الحــيــا سـقـــيـاً لربعى فـعـــقّنى
وعـــدت وربعى لا يزال مــــحـــيــــلا
ومن شـــــقـــوتى في مـــحنة الـعــيش أننى
فـقــدت نصـيـــرى صـــحــبـة وقـبـيـــلا
ونـازلت أجـناد الحــــوادث مـــــفــــرداً
فـــأفنيت عــــزمى وارتـددت قـتـيــــلا
ولا عــــجبٌ فــــالدهر أظلم حـــاكـم
يـعـــزّ هجـــينا إذ يذلّ أصـــيـــــلاً
ولو لـم أعش فى جنّة الصـــبــــر راضـــيـــاً
لقــــضّـــيـت أيامى أسيً وعــــويـلا

* * *

* رفع الشاعر هذه القصيدة إلي الملك فؤاد الأول يشكو فيها مأساة حياته عام ١٩٣٤ .

على أنني أرجو لتفريج محنتي
مليكاً بنصر المستجير كفيلا
له غير عرش الملك عرش قلوبنا
فما نبتغي منه الحياة بديلا
خلال ملوك في ملاك طاهر
وفرع سماك بذ فنيه أصيلا
إليك « أبا الفاروق » أرفع قصتي
أحر ظلامات وأصدق قيلا
رواية مظلوم تمثل عمره
على أنها لما تتم فصولا

* * *

فقدت الصبا يارحمتاه على الصبا
وأصبح طرفي عن مناي كليلا
ومات أبي أعشى وأمي سقيمة
لحزنهما مما لقيت طويلا! ...

* * *

أهون أبا الفاروق والعلم غربتي
وأسقط إذ ألقى بمصر جليلا

أمـــولاى إن الـغـــرب عـــز جنابه
بتكريم « روســو » تـارة و « إمــيــلا »
فــهـــلا أرى من جـانـب العــرش نـظرة
تخـفف عـبـئـا قـد حـملت ثقـيـلا
فـإن الـصـدا يـؤذى الحـســام ولاغـدا
حـســام الزبيـدى صـارمـا وصـقـيـلا
ولو حــرم الدهر الـنضــيــر من الـندى
لبــات هـشــيـمــا إذ يموت ذبـولا

حسيب وحسيب

بريءٌ وعــــيــــشى فى الحــيــــاة مــريب
لقـــد صـــدَّ عنى عـــازل وحـــبــيب
يقــولـون تب عن فـعلة مـــا اقــتــرفـتــهــا
فـــيــــارب عن أى الـذنـوب أتـوب
لقـــد قـــتـل الأكـــفــــاء أيام بـؤســـهم
فـــمنهـم بهـــا كل الأنـام غـــضـــوب
وللـشـــاعـــر الموهوب كـــبـــر يحــده
عليـــه غـــريب حـــاقـــد وقـــريب
صـــراحـــتـــه إثم . . وإبـهـــامــــه أسى
فكـل نواحـى حـــالـتـيـــه عـــيـــوب

* * *

أليـس بدنيـــانا حـــســـاب يخــيــفــهـــا
أليـس لأفـــعـــال العــبـــاد حـــســـيب ؟
لقـــد صـــار خلق الـلـه لحـــمـــا وأعظمـــا
فـليـس لهـــاتيك الجـــســـوم قلوب

جنـنت . . وهل غـــيــر الجنون يـعــيــبنى

من الـشـــعب لـم يحـــسب عليـــه أديب

من الـبـؤس لـلعـــقل الكـبـيـــر ضـــريـــة

عليـه يقـاضـيـهـا بمـصـر حـــسـيـب

فـــمن قـــبـل الديان لـلمـــرء واحـــد

ومن مـــصـــر ألف . . إن ذاك عـــجــيب !

والناس فى مصر ! . . .

يا من لجرح بهذا القلب يأسوه
جرح اليتيم المعنيّ مات أهلوه
تزاور الناس يوم العيد ليس بهم
أخٌ على الدهر يدعونى وأدعوه
أنا الغريب على الدنيا فعالمها
أعدى عدوّىَ يهجونى وأهجوه
فما سمعت على الأعياد تهنئةً
إلا مداهنةً يلقى بها فوه

* * *

يا قومُ مالىَ من ذنب أدان به
ما بال نورىَ إن أظهرتُ تخفوه
لكنها محنة أنتم طواعية
فيها لدهرى ما يأمر تجيبوه
والناس في مصر أعوان الظلوم بها
لو قال كونوا ترابا لى لكانوه
ما العيد إلا بنيلى بعض أمنيتى
فى المجد إنىَ دون المجد معتوه ! . . . .

مداعبة ...

(يداعب الشاعر فى هذه القصيدة صديقين كانت له معهما مواقف وطرائف ونوادر .
أحيانا يشفقان عليه وأحيانا يسخران منه .
هما الشاعر الفنان مصطفى كامل الشناوى الذى كان يتسم بجسمه الضخم والآخر الصحفى الكبير مصطفى أمين والذي كان يتميز بجسم فارع الطول فكانت هذه القصيدة الطريفة فى مداعبة هذين الصديقين لشاعر البؤس ! . . .)

نسيت اسمى وحظى والليالى
وعشت على التوهّم والخيال
كأنّى "كامل" فى موقفيه
لدى القصف أو حوض المعالى
يصول على دجاج عبقرى
يكاد ببطنه الكبرى يلالى
وبين يديه واحدة العذارى
شرى يدها بكأسٍ أو بمال
تغمغم إذ يُقبلها استياءً
لأنّ الفيل يعبث بالغزال ! ...

* * *

ويجتمع البدين إلى طويل

غـنـىّ عــن أسـى الأيـام خـــــــــال

كـــلا الـصـــدرين لـلـدنيـــا حـــبـيـب

وفـــــارس حـلـبـــــة بين الـنـضـــــال

ومـــصـطـفـــيـــان فـى عـليـــا يـراع

يصـيـــد بـســحـره الـبـــيض الـعـــوالى

فـــقلت لقـــســـمـــتى من لـى بيـــوم

كـيـومـهـمـا ولو فـوق احـتـمـالى ؟ . .

أذوق به الحـــيــاة وأجـــتـليـــهـــا

وفـــيـــهـــا أتـقى وقـع الـنصـــال

ولـن أنســاهـمــا خـلقـــا ونبـــلا

فكـم عطـفـــا وكم رثـيـــا لحـــالى ! . . .

أنا وقومي ! . . .

لامــــوا سكوتي عن بأســــائهم وأنا
مــا شِـمْت منهم يداً في يوم بأســائي
في الحـرب والسلم جافوني وقد ظلمـوا
حــتي ثبــاتي في خطبي وبلوائي
أحـبّتي في مـآسيـهمْ ومحنتـهمْ
وفي مـــآسيَّ عــذّالي وأعــدائي
مــاذا أغنيّــه أو أرثي لمجــتــمعٍ
مـوتاه أسْعِدْ بهم من كل أحـياء ! ....

إنما الناس عبيد ! . .

مـــــــا لـدى المحـنـة بـدٌ مـن أســى
يـبـــعـث الموتـى ليـــرثـوا للـحـــزيـنْ
كـلّمـــــا هـلـهـل دمــــعـــا أورقـتْ
دوحـــــــةٌ تـذكـى إلـى المـوت الحـنـين
ذبـل الـورد جـــمـــــالا وشـــــذى
حـــرقــــة تروى قـلـوب الـصــــابريـن
أيـهـــــا المحــــروم كـم هـد الـدجـى
مـنـك قـلـبــــا لـلـرزايـا لا يـلـين
وحـــشـــــةٌ فـى منتـــدى أو سكـن
وشـــعـــورٌ منـك بـالـعـــيـش مــهـين
كـلّ يـوم فــــريـسـةٌ مـن مــــلأ
إن فــى بـــرديـك إبـلـيــس الـلــعـين
والـذى أجـــــــرى عـلـى المحـل الـنـدى
ضـن أن يســـقــيـك مـن كــــدْرٍ وطـين
وإذا قـلـت ارحــــمـــــونـى مـــثـلـوا
واســـــتــرابـوا بـك حـــتـى بـالأنـين

لا تقل آه ولا تشك فما
تعرف الدنيا سوى الحول المتين

* * *

إنما الناس عبيد فإذا
قلت ياسادة ظلّوا صاغرين
كم فزعنا لنرى أو نرتجي
أيّ وجه من وجوه العالمين
فأرانا الصل فى ألفاظه
لدغات مرسلات للمنون
ولمسنا فيه ناباً قاتلاً
تحته نزت أفاويق السنين
هات منها من ترجّى عونه
لن ترى فيه غداً أى معين
فهو كالزيف خساراً وإذا
ما اختبرت الزيف يهديك الرنين ! . . .

دع الشكوى ! . . .

دع الشكوى وهات الكأس نسكر
ودعك من الزمان إذا تنكّرْ
وهام بيَ الأسى والبؤس حتى
كأني عبلة . . والبؤس عنتر . .
كأني حائط كتبوا عليه
هنا يا أيها " المزنوق " . . . " طرطر" ! . .

أين ليالينا ؟ . . .

كـلمـــــا أقـــبـل لـيـل أو نهـــــارْ
شــــاقنى الـعـــهــــد وشــــاقــتنى الـديارْ
وشـــجــانى ســــحــره هذا المزار
والـلـيــــالى الخــرد الغــيــد النّضـــار

* * *

بعــد طول البَــيْن هـل يجـمع شــملٌ ؟ . .
هــو نـار ، هـو وجــــد ، هـو قــــتلُ
يا حـبيبى كيف أنجـو ؟ . . كـيف أسلو ؟ . .

خطبى

أبلغ بخطبى ذا سمع وناظرة
فقد تصامم عنى كل مخلوق
من نفخة الصور آهاتى وقد فزعت
لها القبور ولم يفرج بها ضيقى
كأن دين بنى مصر يحتشهم
أنى أظل حياتى غير مرزوق
وللغوانى اضطراب كلما نظرت
عيونهن إلى عينى وتحديق
عطشان للحسن طول الدهر ماارويت
يوما به النفس إلا فيض تشويق
قد أبعد البؤس عنى كل غانية
كما يصد الهدى عن كل زنديق
يروج حول سلوكى كل مختلق
كما يروج افتياتا بائر السوق

سهد الطوى

هل فى رحابك ياديار أُضامُ
لا أنت راحمة ولا الأيام
عشرون عاما يستبد بعيشتى
حظ إذا صحت الحظوظ ينام
ليل كأيام الوعيد وهوله
قد مات عنه الصبح وهو غلام
سهدى به من فرط حزنى والطوى
والسهد من غيرى هوى وغرام

* * *

أيضيق بى الوادى كفافاً بينما
يجنى الثمار بشاطئيه طغام
لا ينتهى حربى لدهرى أو أرى
يوما أنا فى بُكْرتيه إمام
والناس إما والغون بسيرتى
أو منصفون ومالهم إقدام
مازلت أطمع أن أفوز بقسمتى

مـــــــادام يملأ قـلبى الإســــــلام
إن كنت مظـلومــــا فلى من عــدلـه
سـند ولى من شـــــرعــــه أحـكام
لن أغــمــد السـيف الذى أنا شـــارع
فــأعــز قــاضٍ فى الحـيــاة حــســام

أنا وحرماني

- مــــر الخليط فـــــلا حــيــــوا ولا زاروا
كــــــأنني منهم اللــعـنـات والعـــــار
أصبـــحت في مـصــر خـصم الناس كـلهم
كـــــــأن كل امــــــرئٍ عـنـدي لـه ثـار
ســـدوا منافـــذ آمـــالي وقــد قـــدروا
رزقي ، فــعــيــشي طوال الـدهر إعـصـــار
فـي كـل ركـب أنـــا المنبـتُ بـيـنـهـم
حـــتي إذا خلفـــوني عـــاجـــزاً ســـاروا
كم قـــافـلات مـــضت والدهر يقـعـــد بي
ودون طـيـــــبي لـه بيـــــد وأقـطـار
وعــــــاش في النجم من دوني وخـلفني
ومـنزلي مـــــالـه في الأرض أشـــبـــــار
إن قلت آه أجـــابتني جـــهـــالتـــهم
الـرزق بين الـورى غـــيـب وأســتـــار
سل الـذى خلق الـنعـمى وقـــســمـهـا
أليس لي قـــســمـــة فـيـهـــا ومـقـــدار

* * *

يا مـــــصـــر بين يديـك الآن ملـحــــمـــــة
أنت الـشــــهــــيــــد بهـــا والبـــؤس بتـــار

الباب الموصد

قصدت إلى بابك الموصدِ
فطُوردتُ بالخادم الأسودَ
غلامٌ يمثل حظِّى لديك
وقلبك فى العطف والمعبد
كأنى حين طلبت النَّدى
إليك طلبتُ يد المعْتدى
عطفت علىّ برىّ الكلام
وأُكرمت منك برد صدى

* * *

لقد عشتُ يارب حتى رأيت
من الناس أقسى من الجلمد
فخذنى إليك فأنت الكريم
وقد ضقت بالزمن الأنكد

* * *

أتذكر أيام كنتَ الغنى
وقد جئتنى بائسا تجتدى

أمـــا قلـت لى حـين فـــاض الســـخـــاء

وضـــاعف مـــارمـــتـــه مـــوردى

مـــــددت إلـيـك يدى بـالــســــــلام

أرانـى فـــــداء لـتـلـك الـيـــــــد

فـــــــــرد إلــىّ أقـل الـديـون

عـلـيـك وحـــاذر خـطـوب الـغـــــــد

فـلـستُ أرى الـبـــؤس عــــارا إذا

رأيـت إبائـى من مُـــســـعـــدى

شكوى الزمان

أو تقـــسطون وأنتم الأكـــفـــاء
لا أنتم مـــوتى ولا الأحـــيـــاء
تعس البـــشـــيـــر بكم ، فـــإن بحكمكم
أن يســـعـــد الأوشـــاب والـدهمـــاء
أو مـــا رأيت « العـــسكرى وقـد ســـمـــا
شـــأواً تزاحـم عنده الـنعـــمـــاء
يزهـى « بحـــفـنى » فى الـندّىّ كـــمـــا زها
بالمـالكـين أعـــابـد وإمـــاء
والـيـــــوم ينكـرنى ويزعـم أنه
فى عـــينه تـتـــشـــابه الأســـمـــاء
ويظـنـنى آل (...) وهـو جـــــريمة *
نتنت بفـــيـــحـــة ريحـــهـــا الأرجـــاء
هل لابـن مـــحـــمـــود وصـــالح حكمـــة
عـــدل تميـــز بينه الأشـــيـــاء !
أيعـــيش مـوفـور الـغـبـاوة مـــســـعـــدا !
ونعـــيش يفـــدحنا أسى وشـــقـــاء ؟!

---

* الكلمة المحذوفة اسم الأسرة .

أنشودة الظافر!

خـليـلـى لـم أظـلـم وإن بـت ظـافـــــــرا
وقــد تضـعـف الأضــغــان من كــان قــادرا
ألـم تـريـا ذا الشـــــيخ فـى طول نـخـلـة
عــريض الـقــفـا فـينان كــالـفــرع ناضــرا
ألا لا تـلـومـــانـى عـلـى صــفـع وجــهـــه
فــذلك وجــه يـقـبـل الصـــفـع صـاغـــرا
فــــقـــدمـــاً رأيناه ولـلعين آخـــتـــهـــا
فــأمـــسى مكان العين بالضــرب شــاغـــرا
ولو لـم يكن "عـــيش ومـلح" وصـــحـــبـــة
لكـنـت لـهـــذا الـفـــحـل بالذبـح جـــازرا
هـبـــانـى لـم أغـلـبـــه والحـظ خـــانـنـى
وعـــدت من الميــدان حـــيــران خـــاســرا

---

* حدثت معركة بالأيدى بين عبد الحميد الديب والشيخ أحمد العسكرى فى بار اللواء، وبالرغم من أن الديب أشتهر بأنه جبان فروقة، إلا أن الحظ وحده جعله بطلا يصرع الشيخ أحمد العسكرى، واشترك الشاعران الكبيران على محمود طه وكامل الشناوى فى تأليف قصيدة أنشداها فى حادث «الخناقة» المشهور وقد رد عليهما الديب الشاعر المصارع الصنديد بهذه القصيدة ونشرتها صحيفة «فتى النيل» يوليو ١٩٣٩

أمـا كنتـمـا تسـتـوكـفـان مـدامـعـا
لمحنـة عـيـشـى أو أمـوت مـغـامـرا
لقـد قلـتـمـا هـذا هـزبر وإنـه
من الـشـاء والمـعـزى أرى الشـيـخ ظاهرا
« على الـلـه » عـاش الـشـيـخ طـول حـيـاته
فـلا ولدت أم سـواه عـسـاكـرا
فـجـعـنا به حـرا وعـبـدا مـوسـرا
فـإن قـلـيـلا أن يرى الشـيـخ شـاكـرا
وبعـض العـبـيـد المتـرفين تبـتـكوا
فـلم نـرمـنهـم فـى الملـمـات ناصـرا
يطـول عـلـى مـولاه عـبـد تـركـزت
به لعـنـة الأخـلاق لـم يرع خـاطـرا
أيقبض هذا الشـيـخ عشرين « أهيـفـا » (١) ومثلى
يـطـوى الـدهـر عـطـلان بـائـرا
سـلام عـلى الدنـيـا إذا بات مـسـعـدا
بهـا "عـسكرى" رام بـالضـرب شـاعـرا

---

(١) عشرين أهيفا : أى عشرين جنيها

إلى آكلى الذهب

ذوقوا عذاب الطوى يا آكلى الذهب
لا تتركوا الناس نهب الجوع والوصب
أحياء بالدورموتى لست تعرفهم
ماتوا من العز أم ماتوا من السغب
وصابرين يكاد الجوع يطعمهم
مثل البهائم سوق التبن والحطب
يطوون ليلهم سهدا ومسغبة
وليلكم ينقضى فى اللهو والطرب
شبعتم من أفاويق الغنى فدعوا
للجائعين فتات الغنم والسلب
لقد جبنتم عن الهيجاء معذرة
فخلتم الموت بعض النصر والغلب
لستم من الشعب فى دين ولا خلق
وليس منكم على جاه ولا نسب
ومالكم فى سبيل المجد مفخرة
غير التبجح بالألقاب والرتب

شر المهالك

تراكمت الديون على الديب عند المالكى بائع الألبان ، فرفض أن يستمر فى إعطائه الألبان بالأجل ، فكتب الديب يهجوه :

بـرئ منـك مـــــولانـا ابـن مـــــالـك
رمـــــاك الـلـه فـى شـــــر المهـــــالـك
لـبـــــانـك كـلـهـــــا سم زعـــــاف
ومـن غـش الـبـــــريـة رأس مـــــالـك
فـــــويـلـك من رجـــــال الحـى طـراً
ونـســـــوتـه إذا علمـــــوا بـذلـك !

فى حانة " كركور "

وبعنا زجاجات الطِّلا بعد شربها
لنظفر من أثمانها بكئوس
فيوماً شربناها بعَيْن وفضَّة
ويوما شربناها ببيع نفوس
وشِمْنا من « العقاد » أندل باخلٍ
يضَنُّ لدى البلوى بنقْلٍ فُلُوس
جزى الله « كركوراً » مُعينا ، فإنه
أضاء ببشر الخَمْر لَيلْ عبُوسى
وبدَّل ماءُ الخُلْد حُزنى بشاشةً
ففارقنى كربى وشدَّةُ بؤسى

* عبث سيد محمد العقاد بالديب حين وعده بسهرة ممتعة ، ستنسيه حرماته ، ثم أخلف ، فاتجه الديب إلى حانة « كركور » الأرمنى فمنحه زجاجة أنسته حرمانه وغضبه وردت ابتسامته إلى ثغره .

بين الهجاء والشكوى والفخر
مختارات مأثورة للديب

ويارب مـــــا يومى وأين منيـــــتى
أمـــالى حـــتى فى المنيـــة مـــوعـــد ؟ . . .

* * *

بالأمس كنت مـــشـــردا أهـليـــاً
واليـــوم صـرت مـــشـرداً رسمـيـاً ! . .

* * *

وفى مـكـنـتـى أن أزحـم الـنـجـم مـنـزلا
أقـــابلـه فى برجـــه وأســـايـره
وفـــوق احـتـمـــال قـد أجـاهد ظافـرا
فـــتظهـــر لى من كـل أمـــر ســـرائره
ولـكـننى فى شـــرعـــتى لـكرامـــتى
يقـــدر لى فى كل خـطـو عـــوائره

* * *

كـن دائمـــــا ذئـب الـفــــلا
إن أصـــبـــحت دنيـــاك شـــاة

فـــــالدهـر أكــــــــــثـــــــر أهـلـه
مـن أدعـــــــيـــــــاء لا دعــــــاة

* * *

بـيـنـى وبـيـن الـغـنـى خـــــــصــــــام
وفـــــرقــــة مـــــالـهـــــا الـتـــئــــام
فـلــو تــدانــى إلـىّ يــومـــــــــــــا
لـرده عـنـىَ الحـــــمــــــام ! . .

* * *

أعـــــود الـيـــــوم لـلـربـع المحـــــيـل
ولـؤم الـنـاس مـن قــــــال وقـــــيـل
بقـــــهـــــوة عـــــسـكـر ينبـــــوع بـؤسى
فـــــيـــــاالـلـه مـن بـؤس طـويـل

* * *

أنا فـى اللـيـل عـلـى ســـــهـــــدى شـــريـد
والأسـى يـعـــرف من عـــبــد الحـــمـــيـد
غـــــيـــــر أنى فـى يـد الجلّى جليـــــدْ
لستُ أنسـى همـــتى مـــادمتُ حـــيًّـــا

* * *

لو ذاق هـذا الورى مـــعـــشـــار مـــحنتنا
مـــا قـــاربـوا عـــيـــشـــهـم دنيـــا ولا دينا
لـم نرتـقب فـــرجـــا فى يوم كـــربتنا
إلا وكـــان لنا ضــيـــفـــاً يـوافـــينا

* * *

فنظمتُ قلبى والوفـــاء قـــصــيـــدة
تروى عـلى الأحـــقـــاب والأجـــيـــال

* * *

كلٌّ يغنِّى عـلى لـيـــلاه مـــتّـــخـــذا
لـيـلـى من القش أو لـيـلـى من الحـطـب

* * *

تفـــيّـــأت الـدنيـــا مـــديد ظـلال
ومـــدّ عـلى قـــومى رواق جـــلالى
وطـال حـنـيـنى لـلـغـنـى ، ولـو اننـى
حـنـنت إلى وجـــــه الإله بدا لى ! . . .

* * *

ثيـــابى كـــمـــصطاف الـغنى نـوافـــذا
ومـــشـتى الـفـقـيـر ابن الـسـبـيل هشـيـمـا

ولى غـرفـــة كـالقـبــر لم تحـــو أرضــهـــا
ســـواى أثاثـاً كــــالهـــبـــاء قـــديما . .

* * *

طـلعـت مع الـشـــــمـس من مــــشـــرق
وعـــــشت الـزعــــيم فـلـم أســــبق
أنـا ملـك عـــــبـــــقـــــرى الجـــــلال
وأن صـــــدف التـــاج عن مـــفــــرقى
فـــمــــالى تجــافـت بحظى الســـمــــاء
كـــــــــأنـى يـارب لـم أخـلـق

* * *

أولـســت تـدرى أن دونـك أمــــــــــــة
تهـــوى الـرفـــات وتعـــشـق الأحـــجـــارا
يحـــيـــا الأديب بـهـــا طـعـين سنانـهـــا
ولـكـم يـعــــانـى ذلـة وصـــــغـــــارا
وإذا قــــضى قـــامت عـلـى تمـثـــالـه
تـذرى الـدمـــــوع وتـنـثــــر الأزهـارا

* * *

أنـا ، أو إبـلـيس لـلـدنـيـــــا عَـــــمىً

هو خافٍ ، وأنا أبدو جليا

* * *

قالوا « كريم » قلت : ما برهانكم
الكف معطية هى البرهان
فالله لو لم يحبنا بعطائه
ما كان إيمان ولا أديان
قل للذى أطريته فأدنته
منى الجميل ومنكم الشكران

* * *

ضلت الأقدار تقسيم النعم
قسمة ضيزى ، وأخرى عن كرم
كيف يعطى الراحة الكبرى صنم
ويذوق البؤس حُر عالم !

* * *

هجتها شوقا ، فقالت « هيت لك »
والهوى يغرى على الفسق الملك
ارحم المسفوك والعن من سفك
« لست مظلوما ، فإنى ظالم » !

* * *

بُليت آخر عُمرى بالمرائينا

الواقفين على باب الثريّنا

من كل شيخ قد التفت عمامته

على المذلّة يطوى عمره هونا

غنيُّهم باع من غلات بلدته

خبثا ، وطالعنا نذلا يباهينا

* * *

بار اللواء جمعت بعض كتائبٍ

والحقد فيهم مستبدُ متلفٍ

وقفوا كما وقف الزمان بمحنتى

لدمى البرىء جميعهم يستنزفُ

أأعيش بينهم شقيّا معدما

وهم غنى ناعم وموظّفُ .

* * *

إيه ياعبد الخنا ما أنذلك

عُدْ إلى النخّاس تعرف منزلكْ

تشتم الذّيب وكمْ من محنةٍ

يشتم القدّيسُ فيها والمَلَك

* * *

عمة تحتها ضلال ولؤم
وهى عش الخناويت الداء
نسجت من سفاهة وفسوق
وعلى الخسّة انطوت والرياء
أطعمت ربّها دجاجاً حنيذًا
وسقته « الكونياك » بعد الماء ! . .

* * *

((بد ..)) لم أنس ولم تنسنى
فكيف يا ابن الأمس أنكرتنى ؟
ان كنت ذقت اليوم طعم الغنى
فليس هذا الخُلق طبع الغنى
يا مدره المرأة مهتوكة
ويا مَحامى النَّذل والأرعنِ
ما زلت شيخا نابيا خلقه
فأنت والعمّة من معدن

* * *

شمته الروض أريجا . . فذوى
خلته النجم ضياء . . فهوى
وإذا أنشد شعرا أوروى
ضجت الدنيا وضاق العالم

* * *

إذا جن ليلى آكل السهد جائعا
ويأكلنى سهدى ، ودمع جفونى
وإن لاح صبح أسلمتنى للأسى
عيون خصومى أو خصوم عيونى

* * *

الجود عندكم ، أضغاث أحلام
أكل الذبيحة من عام إلى عام

* * *

وثوى فى « الخان » أوشاب العجم
مُكرمو « الغلمان » أعداءُ الكرم
صائدو الأطيار من بين الحرم
لست مظلوما . . فإنى ظالم

* * *

إيه يا فصل الشتاء ياعدو الفقراء
خانني فيك غذائى ، خانني فيك كسائى
حين عز الدفء فى داري وعند الأصدقاء
قلت لله تعالى أجعل النار جزائى

* * *

أأبكى وشعرى بين قومى يغرد
وأفنى وذكرى فى الوجود مخلد
وأشقى الربع جانبه الحيا
وفى الكون آلاف بعلمى تسعد
ولو لم يخافوا الله قالوا صراحة
" أعبد الحميد الديب " إياك نعبد

* * *

نعل تعالى عن الإكبار والعظم
توّج به الرأس لا تلبسهُ في القدم
لو كان فى رجل « موسى » يوم موعده
لكان أقدس من واد ومن علم

البدر فى ليلة الغارة

أخافنا البدر فى الهيجاء والنور
فالنور فى محنة الغارات محذور
وما تعود منا البدر جفوته
لكن من خاف منه الموت معذور

* * *

هل السماء تحدانا مشارقها
وما قضى الله لا يخفيه ديجور
كأنما البدر جاسوس يتم بنا
وكم بمشرقة قد بات مستور
أو أنه نية سوداء يعلنها
للكيد مضطلع بالدرس مصدور

* * *

يابدر تظهر فى الغارات مفتضحا
لأنت يابدر نشوان ومخمور
يامشعل الموت فى قوم يفاجئهم

وليس يدفعـــــــــه رأى وتقـــــدير
قـــد تلـعن العين حـــسن الروض إن سكـنت
به الأفـــاعي وحـــاكـــتـــه الأعـــاصـــيـــر

* قيلت عام ١٩٣٩ أثناء تعرض مدينة القاهرة للغارات الجوية فى الحرب العالمية الثانية .

بأى قوانين الحياة نداس ؟

بأى قوانين الحياة نُساسُ
وفى كل يوم بالطغام نداس ؟
خلقنا بجيل ذلة المرء بيته
على قدرة فى النابغين تقاس
فعشنا ضحايا للمواهب والحجا
ترينا ديار بين مصر وناس
إذا ما أبينا الذل قالوا : تكبرا
ويغتابنا فى العالمين جساس
وتقطع أيدينا تقدم بالهدى
وأيدى اللئام المجرمين « تباس »

عيدى فى السجن !

على القرب من سجن الرئيس وصحبه
وقفت على صمت ودمعى ينطق
ذكرت أحبائى فذابت حشاشتى
وقد كان يضنينى إليهم تشوق
لك الله ياقلبى حزينا محطما
فدمعك من دمع المحاجر أعمق

* * *

أفى العيد أم فى السجن أنظم باكياً
وأيهما فى حلبة السجن أسبق
فأعياد هذا العهد أمست مآتما
تكاد بها الأرواح بالفقر تزهق
قبيل بها للشاء يذبح هانئا
وآخر مذبوح من الفقر يهرق

★ يقصد بالرئيس هنا « أحمد حسين » رئيس حزب مصر الفتاة (١٩٣٩) الذى كان معتقلا يومئذ فى قضية سياسية .

دنياى

دنياى أنت لغيرى مصبحٌ ألقُ
وأنت طيلة عمرى الليل والغسقُ
حرمتنى وسقيت الناس من غدق
كأننى هالك والناس قد خلقوا
إن التى حرمتنى قبلةً خضعت
لأنف وغد وأفنى حزنها النزق
ياوقعها طعنة فى العيش قاتلة
جرحي بها ماله شبه ولا نسق
إذا سلكت اللظى فى العيش مرتجيا
بعض الكفاف كوتنى دونها الحرق
مر القفار كفافى إن ظفرت به
وفى حريرىَ ذا المتروك والخلق
يارب قد لعنونى فى ديارهم
وهلهلوا دونى الآثام واختلقوا
والصادقون إذا ما أشفقوا كذبوا
والكاذبون إذا ما صرحوا صدقوا

آخر الأناشيد

طـالـت علىّ الـسـنـون واعـــتـــصـــرت
دمـى .. وأوهـى عـــراكـــهـــا دمـى
ولـيـس بـعـــد الـشـــبـــاب لـى أمـل
فـــفـــيـم أبقـى ... أمـــا مـــضـى زمـنـى

* * *

حظى(*)

إن حظـى كـــدقـــيـق فـــوق شـــوك نـثـــروه
ثـم قـــالـوا لحـــفـــاة يـوم ريـح اجـــمـــعـــوه

---

* اختلف النقاد حول نسبة هذا البيت للبيب ، لكن رجح العديد من معاصريه أن اللبيب أطلق هذا البيت فى لحظة من لحظات بؤسه وثورة نفسه ، ويدللون على ذلك أن اللبيب فى أيام زواجه الأولى عام ١٩٣٩ لم تكن تسعه الدنيا ، وفى لحظة من لحظات الصفاء النادرة التى أحس فيها أن الدنيا ابتسمت له سئل هل مازال متمسكا بعقيدته فى سوء حظه الذى عبر عنه ببيته الشعرى المشهور هذا ، فأجاب : لقد ابتسمت لى الدنيا الآن ، وأنشد قائلا :

إن حظـى كـــدقـــيق فـــوق ورد نثـــروه
ثم قـــالوا لأكف ناعـمـــات يوم عـــيـد اجـمـعـوه
ســهل الأمـــر عليـــهم ، قـــول من قـــال اتركـــوه
إن من أعطاه ربى كـــيف أنتم تحـــرمـــوه

لماذا شقيت

قـــاضيّ حـــاذرْ واعـــدل
وانـظـر مـكـانـى مـن علِ
كُـسـيتْ ضـيـائى النيـرات
وأشـــرقـت مـن مـنـزلى
والـــروض غـنَّـى وارتَـوى
من نـغـمـتى أو جـدولى
وجـعـلتُ من حظى وعـيـشى
قـسـمـةً ... للمـجـتـلى
فـاذا بى الـهـمـل الشـقىّ
أسـام بـخـس ... المُـبـطـل
نجـم هـوى ، روض ذوى
مَـيْتٌ ثـوى فى مـجـهـلى
قـد غـيـض مـائى .. عىَّ دائى
من قـضـائى المبـتـلى
فى كـل يـوم مـحـنـة
من صـحـبـتى أو عـذّلى

* * *

آمـنـتُ بـالـقـدر الخـفىّ
وبـالـقـضـاء المنزل

والــلــه أعـــــــــــــدل أن يعـــــــــــذّب
شـــــــاعـــــــرا لم يجـــــــهـل
لكــنّ قـــــــومـى حـــــاســــــدىّ
وتـــاركـــىّ بمـعــــــــــــــــزل
إن كـــــان شـــعــــرى مــــســلمـىَ
لـــــــواســــــــدى .. لا أمّ لـــى
حـطمـــــوا الـغـــــصـون الراقـــصـــات
وأردفــــــــــــوا .. بـــالــبـلـبـل

* * *

يا لــيـل .. ياصـــــــبـح .. اعـطـفـــــا
لمعــــذَّب ... مـــــتـــــعـطّل
أرتـــاد أبـــواب الجَـــــهـــــاد
فـــيـنـبـــــرى لى عـــــذّلى
هـذا يـجــــــــــرحنـــى .... وذلـــك
ممعـن فـى مـــــقــــتـلــى
فـــأمــــوتُ إذ يحـــيـــا الـطـغـــام
بنعــــمـــــة المتــــــفـــضّلِ
يُكســــــونَ من غــــالى اللبـــــاس
وأكــــــتـــــسـى بمهـلـهـل
شـــــربوا نميــــــرى .. بينمـــــا
أروى بــفـــــــــيض الحـنـظـل
يـا طـالما ... طالـعـــــتـهـم

فى أنسهم وتبلبلى
فتضاحكوا وتغامزوا
من كربتى ... وتجملى ..
وبكل يوم يرقبون
ضراعتى وتوسّلى
وأنا أزيد ... كرامةً
مهما تضاعف محملى
وأريهم الضدّين فى
ضحكى ودمعى المرسل

* * *

وحكومتى إنْ رمتها
لظلامتى لم تقبل
ولو أننى رمتُ .. الحجارة
فُجّرتْ عن سلسل
أولستُ من شعب المليك
فأستظل وأجتلى
ألكم جميع حبائه
طول الحياة وليس لى
يا منِ سألتَ بقسمتى
عن ميْت حظّى فاسأل
سأظل جهدا أو أموتَ
لعل كربى .. ينجلى !

من شاعر يموت ...
إلى شاعر مات ...

موشك ركبى إلى هذى الرّحابْ
تنقضى الدنيا ... ولله المآبْ
فى طريقى للردى إذ نلتقى
أنا والأحباب فى يوم الحساب
خلّفونى فى الحمى أبكى الحمى
وأُرجّى الموت فى شرْخ الشبابْ
كيف لا أرقب موتى وأنا
طول عمرى كل يومٍ لى مُصابْ
خلّفتْ لى البؤسَ أمى توأماً
بل أنا البؤس ... أنا نفسى العذاب
لم أكن بالهمشرى فى صحّة
أو جمالٍ أو متاعٍ أو رغابٍ
ليت ربى إذ قضى قد رامنى
وعن المحظىّ للدنيا ... أناب

* * *

كان لى منه وفاء قد خلا
وحماه الله حتى من عتاب
وتناشدتُ وإياه .. فما

عبتـه أوشام لى شعراً يُعاب
شاعر أخفاه شعب تختفى
بينه الحكمة أو فصل الخطاب
عن نمير أو نضير يرعوى
بينما يُزهى بتمويه السراب

* * *

كيف أحيا بينه فى مِحنة
تملأ الأعين منّى بارتياب
وأنا أسمع دوماً أو أرى
مدح شعرى أو تحيات الرِّقاب
وإذا طالعتُ يوماً معشراً
يتجافى بي .. ولى فيه الصحاب
كلهم يزورّ عنّى ... مثلما
غضب الزاجر من وجه الغراب
فكأنى لعنة قد جُسِّدت
أو رسول لنشورٍ وانقلاب
أطفأوا نورى بتجريحى وما
تركوا لى فى المنى أدنى نصاب

* * *

نم صديقى وارتقبنى فى غد
وغدٌ أقرب من محو الحباب

لـم نمـتـع بـحــــــــــيـــــــــاة أو غـنــى
فـلـنمــــتّـع مـن تـضـــاعـــيـف الـتــــراب
لا يـرى الشـــاعــــــر فـى مـــــصـــــر نـدى
غـيــــر مـــا تجـدى مـــخـــازى الاكـــتـــتـــاب
لم نُـثب فـــيـــمـــا جـــهـــدنا .. عُــــمــــرنا
فـلـنـصــــبـــــــه الـيـــــوم فـى دار الـثـــــواب

* وجه الديب هذه القصيدة إلى روح الشاعر الرومانسى م.ع. الهمشرى الذى رحل عن الحياة فى ١٤ ديسمبر ١٩٣٨ وهو فى زهرة عمره إثر عملية جراحية .

توبة

تـركـت الطِّـلا حـــــتّى حطَمْتُ كـــــؤوسى
وخـــاصـــمتُ ندمـــانى بهـــا .. وجليـــسى
ولـى مـن رضـــــاء الله أذكـى مــــدامـــــة
أبيت بهـــا نشـوان غــيـــر خــســيس
شـــربت الطـلا فـى ذكـــر ربِّى فـــأسكرتْ
فـــؤادي كـــئـــوسٌ لم تـدر بـرءوس
وقـــد كـنتُ إمـــا أشـربُ الخـــمـر ســادراً
أثـيـــر إغـــاراتي .. بغـــيـــر وطيس
وأوقـــدُ من مــــاء الرّحـــيـق ... جـهـنّمـــاً
وأرجـــو ســـعـــودى من ظلام نحـــوسىِ
ومـــاذا وراء الخـــمـــر ... إلاّ رواية
تمـثـل أحـــزانـى وشــــدةّ بـوسى
فـــأســـرف إســـراف الخـلـيع وأنتـــهى
إلـى عـــقـل مـــجـنون ونوم حـــبـيـسِ
فـــلا الليلِ أشـــجـــانّى بسكرى ونـشْـــوتى
ولا الـصـــبّح فـى ضـــوء بـه وشـــمــوس
إلى الله أشـكو مـــا فـــقـدّتُ مـن الصِّـــبـا
بحـــانة خـــمّـــار وبيت قُـــســوس
فـــمـن يـدعـنى لـلكأسَ بـعـــدُ فـــإنّنى
تـخـــذت الهـــدى كـــأسى وروح أنيـــسى

أحزان العيد

من زائرى بالعيد من بالباب ؟
وهم فقدت به رشيد صوابى
قد خلت بالأصحاب بعض هناءتى
واللؤم كل اللؤم فى الأصحاب
هم قادرون وماتشاء خلالهم
أن يكشفوا كربى وسوء عذابى
لكنهم حذقوا الهروب من الندى
بملامتى فى شقوتى وعتابى
والحسم أصرح فى الردى من خمرة
فيها الردى من تالف الأعناب
ذبحوا الخراف مُخافتين وجددوا
فى عيدهم من فرحة وثياب
أنا لست أستجديهم لكننى
منهم أقر براءتى ومتابى
إن فاتنى عيد الحياة وسِرها
سأرى هناء العيد يوم حسابى!

العزيز الذليل

عـظيـمٌ .. ولـكـنّ الحـــــــــــوادث أعـظـمُ
وشــــــــهـمٌ ولـكـنّي عـلـى الـذلّ مـــــــــرغـم
إذا مـــــــارآنى ســــــادرٌ .. بـين مـــــــحنْتي
حــــــــزينا تجــــــافى بى فــــأبكى وأبـسم
مـــشـــايعــــةً لـلناس أحـــســـو مُـــدامـــتي
فــــسكرى صــــحـــوٌ والفــــؤاد مـــحطّم
لـنـجـــــــــــدة أوطـانـى أخـف إلـى الـوغـى
فـــــــمــــــــــا راعنى هــول ولاردنى دم
وهلهلـت شـــعـــرى فى اســـتـــشـــارة أمـــتى
وكم صــــحتُ فى قـــومى إلى المجـــد أقـــدمـــوا
سـلـوا عـنّى الجـــــــــلاّد كـم هـزّ ســـــــــوطـه
بـنـــاء تجـــــالـيــــــــــدى ... ولا أتـظـلّمُ
سـلوا عـنّىَ الـســّــجْن الـرّهـيب كـم انبـــــــري
بمعـــــــقـلـه منّى رفــــــــــات وأعـظم
وأســــــتنزلُ العُـــــصْم الحَـــــصَـــــان من المنى
بجـــمـــــــر من الأشـــعــــــار منه ... جـــهنّم
فــــجــــوزيتُ من تلك البــــلاد ... بما تري
ســـجـــودٌ لأشـــعـــارى وعـــيـــشى مُـــعـــدم
إذا رمتُ عـــيــــشى من جـــهــــودى وهمـــــتى

تنكر لى منهم كـفـورٌ .. ومسلمُ ..
وقالوا أخو كبر ... وفيه مجانةٌ
يؤخر رَجلاً فى العلا ... ويقدّمُ
ويأكل عرضى منهم كلُّ حاسد
له همّة أخرى وحظٌّ مقدّمُ
تصافحنى أطراف أيد ... أثيمة
ولو قدرونى بالقلوب لَسلّموا ...
ألستُ شبيه الطّير يشدو مغرّدا
لقوم ... ليسليهم ويُذبح ... منهمُ
ألستُ إلهًا ... كلما لاح نوره
هدى الناس رحمانا وهُمْ فيه : أجرموا

ركب السعداء

مــشى الركب لم يعــبــأ بدمــعى ولادمى
وخلفنى أبكى على قــبــر ملهم
على قــبــر حظى فى الحيــاة وقــسـمــتى
على مــيْت آمــالى وعــيــشى المحطم
تخلفت عنكم مــرغــمــا وكــأننى
أنا الكافــر المنبــوذ من كل مــسلم
مــشى الركب والنعــمى تحف بدربه
ويســبق ركب الحظ فى كل مــغنم
أكلتم .. لبــستم كل خــز وعــسـجـد
وقُــدْتم حــمى الدنيــا قُــيــادة ملجمٍ
وجــندتم الأجــنــاد تحت لــوائكــم
عــبــيــداً لكم مــابين نذل ومــجــرم
رأيناكم فى المجــد لم يعــد خطبكم
هناءة مــيــســور ولذة مــعــدم
إذا مــا حــرمنا الرزق والعــرض وافــر
فلسنا نبــالى العــيش بين جــهنم !

بؤسى وبؤس طه

عشرون عاما أنادي
ولم أجد لى سميعا
وأنّ طه فأنت
له البلاد جميعا
يارب حتى ببؤسى
أرى مكانى وضيعا
يبكون عن بؤس طه
ولم يذق فيه جوعا
ولا تشرّد يوما
ولا أصاغ مطيعا
ولا عداه رحيل
لم يرج منه رجوعا
أما أنا ، فتراني
فى كل يوم صريعا
مامر يوم بعمرى
إلا وكان مريعا
مهاجر فى شقاء
أطويه عريا وجوعا

---

* يقصد د. طه حسين وكتاباته عن ذكريات البؤس والمعاناة .

أرجو الحياة كفافاً
واليسر لن أستطيعا
وإن بؤست كطه
أرى الحياة ربيعا
مالأ ، وجاها ، وعلماً
وثروة لن تضيعا

البلبل الذبيح

عيون المعزِّي ، أين منك دموعي ؟ ..
وقلب المعزي أين منك هلوعي ؟ ..
لقد ألبسوني التّاج في ذلّ دولتي
فيا مُلك مغلوب ، وعز وضيع
تعطّرت الدنيا بشعري فصوّحتْ
بمهزلة الأحقاد زهر ربيعي
يقولون : موهوب على عبقريّة
فهل عبقري من يعيش بجوع ؟ ..
ولم أدر ما حظ الأُلى يهدمونني
سوى أنهم يبغون ذبح صريع
وأسمعت أبراج السماء شكايتي
وللأرضِ ... لم أظفر بأيّ سميع
إذا رمتُ عيشي عاملا فكأنّني
رجوت يهوذا .. رحمةً بيسوع
فأقدمت للعيش الكفاف مجنّدا
مواهب لم تخلق لغير رفيع

معهد الموسيقى

يا دار داود ما فاتتك سَرَّاءُ
يشدو بها مُلهِماً غُصَنٌ وورقاءُ
آسيت كل جراح القلب من نغم
يُرجى به من عيون الفن أكفاءُ
من عازف أو هتوف إن هما اجتمعا
تجمَّع الحسنُ، والمخضرُّ، والماءُ
وعبقرىٌّ غناء من ترنمه
تصفو النفوس، فما فى الناس أعداء
فتخلق الحب موسيقاه ملهمة
وكل فن له خلق وإنشاءُ
إذا سرى بين مَوتَى سحر نغمته
أعادهم وهمُ فى الناس أحياء
والعُودُ كالقلب فى تكوين خلقته
أوتارهُ ونياطُ القلب أنداءُ
ولست أهضم «القانون» نغمته
فذاك شيخٌ .. له الآلات أبناءُ
«والنّايُ» إن صحب «القيثار» فاستمعوا
صوت العبيد بِذلِّ الرِّقِّ قد ناءوا

للطار والطبل دقات منغمة
كالقلب فى شغف تسبيه حسناء

* * *

يا معهد الفن ، يا أهرام دولته
وياسماء بها للفن إسْرَاء
فيك العبادة ألحان مقدسة
وكل ما تحتوى لله إرضاء
كم ذا تخرج للدنيا ملائكة
فما لفضلك تقدير وإحصاء
كانت عواطفنا مرضى فكنت لها
بُرءاً أقام بها ، واستؤصل الداء
جعلت تربية الأوطان مرهفة
والفجر يُمْحَى به ليل وظلماء

هات المدام

هات المدام فدين الله تيسيرِ
فأسعد الناس مخمورٌ ومخدور
هات المدام ولاتعرض لمتْربتى
مهما غَلا العيش لَم تَغلُ القوارير
هات المدام الصَّبُوح البكر يحملها
إليك أخنسُ سَاجى الطِرف مغرور
إذا دعوتَ تراخى عنك مُعتذرا
وأسكرتْ كالطِّلا منه المعاذير
فديتها حانة «الخاخام» هادئة
سكْرى يُعربدُ فيها الحُسْنُ والنور

ليتنا مثلهم

نعيب الحضارة ، عيش العراء
وورد العيون وسكنى الخباء
ومن لى بعيش بها فى كفاف
وخلق رضىٍّ كصفو السماء
ومن لى بصبح تهب الخزامى
به فأصيب المنى والرجاء
لقد محلت فى القصور النفوس
فكل الذى تجتليه رياء
وبين الحضارة مات الندى
ولم يعرف الناس معنى الإباء
وبين الحضارة عاش النفاق
فكل الذى شاءه المال شاء
فلا مستجير يرى منجدا
وكيف يجيب الأصم النداء ؟
ولا وطن ريع يلقى يدا
تزور وقلبا يضم الوفاء
جمال البداوة أو مجدها
بعيد عن اللغو والأدعياء
جمال من المضرىِّ الأبى

عظيم الخلال عظيم البلاء
إذا هاجم الجلسة الفاتحون
تصدى الرجال لها والنساء
وأرخصت الذادة الروح كبراً
وهان عليهم عزيز الدماء
وفى الخطب لم يذكروا أى خلف
ولم يعرفوا بينهم من عداء
جوار الشباب يهب الشيوخ
إلى الحرب كلهم أوفياء
فأين الحضارة من عيشة
بها كل رأس يمس السماء
وأين الحضارة من جنة
غنى النفس فيها بعود وماء؟
وأين الثريا وأين الثرى
وأين من البدر هذا البهاء؟

أحزان الأسد

مشى يختال فى الغابه
له الأدغال أوابه
فلا يشحذ عينيه
لما يلقى .. ولانابه
له كبر يعذبه
وكبر الليث ماعابه
حسير اللحظ همته
لدى الأرزاء وثابه
وئيد الخطو وثبته
إذا ما اهتيج غلابه
وحوش الغاب خاشعة
أمام الليث هيابه
فلا منها أخوشمم
يغلق دونه بابه
ولا عاص ولا حاقد
على مولاه أسلابه
إذا ما الجوع أرغمها
أتت تمتاح أعتابه
إذا ما رابها زمن

فليست منه مرتابه
يراها فى معيته
أعابده وحجابه

* * *

فجرّتْ شرة الإنسان
للضرغام أوصابه
تصيد شبابه فرحا
يغذى منه آرابه
وخلى الفيل فى حرق
فيالله مانابه
فجاء الليث ملتهبا
تخال الموت إرهابه
فلم ير شبله ورأى
لذئب الشبل أثوابه
فجن جنونه وجرى
وكل الكون قد رابه
ومن ترجيع زأرته
أقام البعث فى الغابه
وحارب حرب موتور
أعاديه وأحبابه
فهد الثقل قوته

وأضنى منه أعصابه

ومن يفجع بواحدة

سقاه زمانه صابه

فمات الليث منتحرا

بمدمعه وما انتابه

ودمع الليث يقتله

ويفنى فيه أحبابه

جنة وصحراء

مـــــا راح فى مـــــحنة الأيام أو جـــــاءَ
إلا أضـــــاف إلى البـــــأســـــاء بأســـــاءَ
وإن تطلب غـــيـــرى عـــيـــشـــه رغـــدا
كـــانت له الناس والدنيـــا كـــمـــا شـــاء
والدهر منى كـــأنى عـــبـــقـــريتـــه
مـــا آدنى إلفـــه بكرا وإنشـــاء
زلت بمصـــر نفـــوس النابغـــين بهـــا
فكم أهينوا بهـــا مـــوتى وأحـــيـــاء
والجـــهل فى الشـــعب يعـــمـــيـــه فليس يرى
إلا الكفـــايات والأكـــفـــاء أعـــداء

* * *

يا مـــصـــر.. ياجنة الدنيـــا ونعـــمـــتـــهـــا
لم تلف بـــينك لا زرعـــا ولا مـــاء
أطاعـــت للناس خلـــدا لا نفـــاد له
بينا نداك طوال الدهر صـــحـــراء
إذا مـــرضـــنا وآدتنا مـــواجـــعـــنا
كـــانت منيـــاتنا فـــيك الأطبـــاء
وإن عـــشـــقنا وجـــدنا فى صـــبـــابتنا
كـــانت عـــواذلنا فـــيك الأحـــبـــاء

وإن شربنا بكأس ، فالرحيق بها
دموعنا وحمياها غدت داء
فأى حال نرجيها لتسعدنا
يارب أهلك بهذا الشعب حواء

النجوم

أنجـــوم أنت أم دمع الســـمـــاء خبـــرينى
أم جـــواسـيـس علينا رقـــبـــاء كـل حـين
أنت يا أنجم أســيـــاف الـقـــضـــاء فـارحمينى

* * *

عـــاشـقـــات أنت فى ثـوب السـهـــاد لـن تنامـى
كلنا جـــانبـــه طيب الرقـــاد فى الغـرام
ليس يثنينا إلي يوم المعـــاد أى هـــون

* * *

يـالحـــاظ الحـــور من بين الجنان وامـضـات
يانقـــودا ضـربت أيدى الزمـــان خـــالدات
يا عـــقـــودا فـوق أجـيـاد الحـســان ارحـمـينى

موت القمر

طلـع البـــدر غـــريقــا
بين أمـــواج الغـــمـــام
لايرى فـــيـهـا طريقـا
بـالـغــاً بـرَّ الســلام

* * *

وأنـــا أرنـــو إلــيـــــه
بـــين يـأس ورجــــــاء
طـرت من حـــزنـى عـلـيـه
فـــوق أســبـــاب الســمــاء

* * *

صـــحت فى الأنجم أبغى عـــونهــا
فى خـــلاص البـــدر من مـــوت مـــشين
فـــتـــولت وتجلى حـــقـــدهـا
كـــيـف يرجى العـــون من خـــصم مـــبين

* * *

قـلت يـا أرض : الجـــدى بـدر الســمـــاء
واذكـــرى إشـــراقـــه بـين الـظـلام

---

* يعتقد البيب أن القمر «شاعر السماء» ، وأنه «شاعر الغبراء» ولهذا أنشد هذه القصيدة يصف فيها تقاعس الكون عن نجدة القمر وهو يموت .

إن فجعنا فيه فالدنيا هباء
وعلى الأرض ومن فيها السلام

* * *

فعرا آذانها وقر صنيع
وتعامت عن دموع المستجير
وبدا فى وجهها لؤم وضيع
يظهر الحقد على البدر المنير

* * *

أيها المدلج : هل تنسى مجيرك
من تجلى عطفه بين سراك
أيها العاشق : هل تلغى شعورك
فى هلال البدر .. ما أقسى هواك

* * *

انظر الورد يناجى
حسنه بين الخميله
انظر الطير يهاجر
دونه حتى خليله

* * *

ليس غير الحسن يبكى للجميل
ليس غير الطير والورد النضير

ليس للبدر حبيب أو خليل
غير شدو مستجاب أو عبير

* * *

هكذا في الأرض يقضي
شاعرٌ وفي السماء
كل من في الكون يغضي
عن شقاء الشعراء !

عرس المليك

أنات مـــحـــروم ، وذلة عـــافى
وشـــقـــاء مـــغـــمـــور المواهـب خـــافى
وأجـــوس جنّات النعـــيم إلى الـعـــلا
فـــإذا بـأرجـــاء الجـــحـــيم مطافى
والـنـاس قـــد جـــعـلوا ازدرائى فـكـرة
تـوحى بـهـــا الأســـلاف للأخـــلاف
وحـــرمت حـــتى من حنان عـــشـــيـرتى
لا راحـــمـى أهـلـى ولا أُلاّفـى

* * *

أأصـــوغ فى عـــرس المليك قـــصـــيـــدة
وأنـا إلـى الموت الـرهـيـب زفـــافى؟ ..
وطـويت عـــمـــرى لـم أفـــز بـحـليـلـة
إلا حـليـلـة عـــزتى وعـــفـــافى
لـو كنت من شَـــعب المليك نـظـمـــتـــهـــا
من مـــهـــجـــتى وعـــواطـفى وشـــغـــافى ...!

(*) قالها عندما طلب منه تهنئة الملك فاروق بزفافه عام ١٩٣٨ على الملكة فريدة.

حتى الرغيف فقدناه ! ..

عـــادت لـيـــالى ابـن يعـــقـــوب ودولـتـــه
وآدنـا المحل لا مـــــاء ولا شـــــجـــــرُ
نـرعى الـهـــشـــيم بـوادينا عـلـى ســغـب
والـيـــانـع النـضـــر يـرعى الـشـــابع الـبطر
إذا اســـتـــغـــثـنـا طـبـيـــبـــا فى مـــواجــعـنا
بـدا لـنـا جـــــرحـــــه والموت يـنـتـظـر
وكـم ســـحـــاب رجـــونـاه لـيـــمـطرنـا
فـــجـــادنـا من نـداه الجـــمـــر والشّـــررُ
حـــتـى الرغـــيـف فـــقـــدناه ولا عـــجَـبٌ
فـنحن فـى أمّـــة أيامـــهـــا عـــبـــرُ

* * *

فـى الحـــرب والسـلم نشكو لـيس يـنـجـــدنـا
إلا خـــبـــيـث يـردّينـا ويـعـــتـــذر
أحـــيـــاء مـــوتـى مـن الـبـلـوى وكـم مـــحـنٍ
يـبـدو بـهـــا يُسْـــرنـا والـبـؤس يسـتـتـرُ
أجـنّة الخلد فـى مـــصـــر مـــصـــوّحـــةٌ
والنّـار فى غـــيـــرها لـلـخـَــيـــر مـــدّخـــر ؟

منع اللحم ! ..

((منعت الحكومة عام ١٩٤٠ ذبح اللحوم ثلاثة أيام فى الأسبوع فكتب الديب هذه الأبيات اللاذعة)) ..

كلوا الحكومة أو موتوا من الجوع
صوت الضعيف المرجَّى غير مسموع
قد حرّموا اللحم فى يومين هل علموا
أن ليس فى فعلهم زين لتشريع
حكومة الفقر والأيام قبلهم
على الورى حرمته ألف أسبوع ! ..

بين الوطنية والفاقة ! ..

رضـــــيتُ ، ومن يَمْـــرنَ على حــــزنه يَرْضَى
فـــيــاظلّ أحــلام تقلّص وانفـــضّــا
ويا ســامــر الدنيــا ومــوكب يسـرها
تجــاقــيت بى نقْــلاً وأنكرتنى فــرضــاً
كـــأنى بين الناس لعنة جــيلهم
فـمن شمْت منه العــيش أوسعنى رفــضـا
ويحـتـال حـتى ما يُفـرّج .. كُــربتى
إذا عىّ بى كـــلاً ، يجـــرّحنى بعـضـا

* * *

وقـدمتُ نفـسى للبــلاد بخطبــهـا
فــداءً ، فــســامـتنى نواظرها غــمـضـا
أحــتى إذا قــدّمت مُـسـتكرهاً دمى
لشــعــبى ، أسـامُ البـغض منه فـلا يرضى
يعــدّونه منى انتــحـاراً لفـاقــتى
ولسنا ضحــايا البـؤس مـثلهم مـرضى

* * *

أيملأ هذا الشـعب حـبى ورحـمـتى
ويفـجـعنى فى كل مـضطرب بغـضـا ؟
أريد ســمــاءً بالجــهــاد تعــزّنى

وشعبيَ يأبى أن يُبَوِّئني أرضا
أحوليَ هذا الرعد والبرق وامضاً ..
وتخبو حياتي لا أشيم بها ومضا ؟ ..
لقد جنّدتني الحادثات لحربِها ..
فأي حقوق للبلاد بها تُقضى
قضاء بإعدامي غداة شبيبتي
عجزت فلم أملك لضربته نقْضا

* * *

أريد انتظامي بين أجناد أمتي
أقدم قرباناً شبابي لها غضا
ولكنّ عجزي عن كفافي يؤودني
فلم أدْرِ طولا للجهاد ولا عرضا
لئن كَان عزمي ماضياً ، فنوائبي
إذا عصفت بالعزم ظافرة أمضى

ثورة محروم ! ..

((نظم الشاعر هذه القصيدة الصارخة عام ١٩٣٩ حيث تعرض بسببها للكثير من المتاعب))

بكم يباع غباء الناس فى بلد
لا نافعى بينه علمى ولا أدبى
القابضون على أسباب نعمته
من آكلى العرض أو من آكلى الذهب
والمرسلون لتثقيف العقول به
جهابذٌ فى استراق الفكر والكتب
فرض على شعب مصر أن يدين لهم
كالسّامريين بين العجل والقرب
أين السجون لنغشاها فتنقذنا
من سجننا فى غيابات من الكذب
متى تحرّرُ شعبٌ من مضلّله ..
لان العصى له فى كل مضطرب
سلوا موالية الأفكار أى هدى
فى الليل ، أيّ ندى فى النار واللهب ؟ ..
بمصر كلّ غبىّ ساكنٌ فلكاً
والعبقرىّ بها سكناه من حطب
من لى بيوم .. ضريح أستجّم به
فى يقظة النصر أو فى صرعة الغلب ! ..

الطائرة الساقطة ! ..

((يصف عبد الحميد الديب فى هذه القصيدة الطريفة سقوط طائرة ألمانية فى مدينة الإسكندرية عام ١٩٤٠ أثناء الحرب العالمية الثانية))

يحـــمى الإله مـــلائكا قـــذفـــوك
وســــقــــوا حطامك مـنِ دمـــوع بنيك
أغـــروك بـالأرض الحَـــصَـــان من الـردى
بـاسكـندريّة ليـــتـــهم نصـــحـــوك
كـم ألف قـــاذفـــة توارى نجـمـــهـــا
قـــذف الكـمـــاة بـهـــا كـــمـــا قــذفـــوك

* * *

اســـمع حـــديث الــطـائـرة
انظر إلـيـــهـــا صـــاغـــرة
تـلـك الضـــخـــامـــة والوجـــاهة
فـــى مـــداهـــا ظـــاهــرة
كـــانت عـــروس الجـــو تجـلـى
فـــى هـــنـــاهـــا عـــاطــرة
كـم غـــردتْ بـين الـكــواكــب
فـــى الـلـيـــالـى الـزاهــرة
كـم طـوفـتْ كـم وقـــفـــتْ
ومـــقـــيـــمـــة ومـــسـافــرة

دارت مع الأفـــــلاك فـــــانقـــــضت
عـلـيــــــهـــــا قـــــاهرة
دارت فـلـــمّـــــــــــا أن طـغـت
دارت عـلـيــــــهـــــــــا دائـرة
قـــــد آمـنـت لـكـنـمـــــــا
لـلـحـــرب نفس كـــــافـــــرة ! ..

الضرير ...

سجنوا عليك الكون أم سجنوكا ؟ ..
لو أنصفوا فى ظلمهم قتلوكا
تخذوا عذابك أو نعيمك شهوة
وتقاسموك كأنهم خلقوكا
لم يرحموك على عماك كأنهم
حسبوا العذاب على العمى يهنيكا
نم يا ضرير ، ففى عماك سعادة
ألاّ ترى عيناك من ظلموكا
ألاّ ترى أثر الطغاة وجورهم
عرضاً ذبيحاً ، أو دماً مسفوكا
ألا ترى الدنيا شخوص رواية
ضلّت وضلوا شرعة وسلوكا
صادوك فاتخذوك لعبة ملجأ
كم عذبوك به وكم ضربوكا
يا شيخ أضناك المشيب أو العمى
فلجأت حراً لم تكن صعلوكا

* * *

فى الغرب كل اللاجئين تخالهم
بين النعيم المستقرّ ملوكا

وهـمــو بـمصـر مـعـذبـون أذلـة
ملـكـوا عـلى الرق المـهين صـكـوكـا
يحـيـون فى ظـل الإسـار وضـيـقـه
بأشـد مـن عـيش الـسـجـون حلـوكـا
ثـاروا وثـاروا والحكـومـة لـم تـزد
إلا ظـنـونـاً حـولهـم وشـكـوكـا
وهمـو كـبـاقى الشـعـب فى بأسـائه
ظـلَّ الحنو بـه غـدا مـتـروكـا
رغـبـوا الـسـجـون من الملاجئ إذ رأوا
فـيـهـا الخـلاص من الإسـار وشـيـكا

إذا جبن الشباب ! ..

((قال الشاعر هذه القصيدة الغاضبة سنة ١٩٤٠ حينما رأى تخاذل الشباب عن الدفاع عن مصر أثناء اشتعال نار الحرب العالمية الثانية))

أقلنى لا هززتك يارباب
فما سمع الصّحاب ولا استجابوا
شجاهم فى الحمى منّى هتوفٌ
فقال القوم قد نعب الغراب
سما هزجى على نفخات صور
يعود إلى الحياة بها التراب
فما لمواطنىّ تملكتهمْ
على الألحان أسماع كذاب
أهَبتُ بهم إلى بعث فماتوا
كأن ديارهمّ منهمْ خراب
ومن للدار يحميها إذا ما
لوى عنها الشيوخ أو الشباب
إذا جبن الشباب عن المنايا
تخوض غمارها الخوْد الكعاب

* * *

نعام فى الوغى يا آل مصر
وفى غير الوغى ظُفر وناب

أبيْن عجاجها نبلى بُخْلف
يؤججه انقلاب وانتخابٌ
تناسوا كل حرب غير حرب
على الأبواب مافيها ارتياب

* * *

إذا بتم لمذكيها نعاجا
فكل جنوده فيها ذئاب
وإن عاجلتموها أسْدَ غاب
فللأسْد الغنيمة والغلابٌ
تعالى مجدُ مصر أن يُردّى
بشرذمة أخافوا واستّرابوا
دعاة هزيمة أشياع جبن
ومن آرائهم خُلق السراب
وما يبغون حربا أو سلاماً
ولكن كل همهمو اكتساب
إلى الهيجاء إنّ بها حياة
ومجداً لا يزول ولا يُشاب

التضحية !..

((نظمت هذه القصيدة فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٠)) أثناء الحرب العالمية الثانية.

يا يوم عيد المنية
فى حومة الميدان
أنا الفدا والضَّحية
للشعب والأوطان

* * *

دمى وروحى وديعة
وكل حى فان
أنا إمام الطليعة
إذ يلتقى الجيشان

* * *

إن متّ قربان قومى
بلغتُ كلّ مُنايا
ولن يؤّخر يومى
خوْضى غمار المنايا

* * *

عن الجدود القدامى
ورثت حُبّ القتال
إذا شرعت الحساما

دككت شُمَّ الجبال

* * *

التضحيات يقيني
وعصمتي وجلالي
بها تألَّق ديني
بين القنا والنِّصال

* * *

أنا العلا والفتوّه
أنا الوغى والكفاح
خلقت عزماً وقوّه
أرى بماضي السِّلاح

* * *

نسيتُ في الحرب نفسي
لما ذكرتُ الوطنْ
له شبابي وبأسي
له حياتي ثمنْ! ..

* * *

خلوا جراحي بجنبي
لاَ تعْجَلُوا بالشفاء
حتى ألاقي ربي
في حلة من دماء! ..

إلى إخوانى التاعسين

من رقص مذبوح وأنّ كظيم
إحياء مقبور وبعث رميم
لا أهلنا تركوا وما ترك البلى
بديارنا السوداء غير رسوم
ونجوع أو نظما فلا نجد النّدى
إلاّ كؤوسا أترعت بهموم
خطبان فى الدنيا يؤود ... كلاهما
طرق المنون وحُرقة المكلوم
وإذا شكونا للحكومة لانرى
إلا السّجون نهاية المظلوم
والشعب ينكرنا كأنّا لعنةٌ
أو آفة تجتاح كلّ سليم
فذبولنا ودموعنا .. وسقامنا
تزوير أفّاك ... وكذب ملوم
أنا لا أحابى بل أقرر واقعاً
نزّهتُ شعرى عن رياء ذميم

بؤس الفلاح ...

كلُّ الحياة بهذه الفأس
مِن أخمص الدنيا إلى الرأس
حَسْب ابن بجدتها وحاملها
بين البريّة عِزّةُ النّفس
بينِ المروج عروسَها تُجلى
وتُزفُّ من عُرسٍ إلى عرس
كم أنبتت في قاحل ذهباً
وجرْت على الأزهار كالكأس
هي فرحة ، إلا إذا حُملتْ
لتشُقّ رأس الميت بالرمس
في يومها غَرْسٌ وفي غدها
جَنْى لما أجرته في أمس
وتُرى على كتف مجرحة
كالتاج مُلتمعاً على الرأس

صوت الفقير...
فى الحرب المقبلة ...

حــــــربى لأجلك يا بلادى فـــــــاسلمى
أفـــــــــديك يـا وطنـى بـروحى أو دمـى
أأخـــــــاف من هـول الحـــــــروب ونـارهـا
وطوال عــــمــــرى بين نـار ... جـــهـنّم
فى كلّ يوم لى حــــروب مــعــيــشــة
عــيش الكفــاف بهـــا نهــاية مــغنمىّ
والجـــوع أيســـر مــا تعـــانى أســرتى
وكـــــأننا من غــــيــــر بطن أو فم
هزلت جــسوم بنيـتى وشـقــيـقــهـا
وحـليـلـتى وأنا ، فـلـم نـتـــــألم
فلقـــد مَــرنًّا فى الحـــيـــاة على الأسى
ســيــان كنا فى هَنَـا أو مــــأتم ...
كـم مـــرة قـــررت قــتـلة أســـرتى
وأداً فــــأرجــــعنى يـقين المسـلم ...
أطوى النهــــار رهين فــــأسى جــاهـداً
وأعـــــود ... يا ويلاه ... عـــــود المرغم
فلمن تُرى نصـــبى يعـــود ثمـــاره؟ ..

(*) نظمها عام ١٩٣٨ ومصر على أبواب الحرب العالمية الثانية

هـى للـغـنـىِّ مُـسـعـذبى .. ومـحطمى
أشكو إليـه خـصـاصـتى وكـأنـنى
أشكو إلى كلف بكيدى .. مغرم ..
يختال ثم يجيبنى من معطش
نشوان ، إن حطّمته لم أظلمَ
والباخل الميسورُ فى مصرٍ يرى
أن الغنى يوفيه إن لم يُرحم
«ما البلشفية» ، مذهبى فأناله
بمساءة حتى أفوز بأنعم
لكننى أبغى الحياة كمثله
وأنا وإياه .. نمتُ لآدم
ما كان من ذهب ولا من فضّة
بل كانِ من لحمٍ يُقام بأعظمَ
أمحرمٌ أكلى ولِبسى فضلة ..
فإن استبدّ به فغير مُحرّم
هيّا إلى الحرب الضروس فإنها
هى وحدها القاضى بقتل المجرم
والحرب كالطوفان يطهر بعدها
وجه البسيطة من هوى أو مأثم ..!

صيف القاهره ...

أثارُ الجحيم ، أم القاهرة ؟ ..
ودنياى تلك أم الآخرة ؟ ..
لقد أحرق الليل جمر النهّار
فما ينقضى القيظ والهاجرة
وصار النسيم كلفح الهْجير
وأنفاس محتضر خائرة
وطول الطريق كطول الصِّراط
تَؤُود فظاعته عابرة
ومن يلتمس ما بها من ظلال
فقد باء بالصفقة الخاسرة
فليست ظلالا ولكنها
مثارٌ لنقع من الحافرة
كأنّ بأرجائها فُجّرت
براكينُ غاضبةٌ ثائرة

* * *

ودارُ المعزّ مصيف الفقير
ينابيعه بينها غائرة
فصنعته لاتفيد الكفاف

وسلعته مرّة بائرة
تعدّ الطبيعة أحكامها
على عيشة أبدا جائرة
وكل امرئٍ عنه لاه حزين
من القيظ أعطافه نافرة

* * *

ومن للفقير وعيش الفقير
يَرى بين أمّته ناصره
دعوني أحدثكمو عن أساهُ
وعن نفسه الحرة الصابرة
فبينْا دنَتْ للغنىّ الحياة
بمصطافه حلوة باهرة
يعلّ وينهلُ من وِرْدها
ويَجْنى بها المتع الفاجرة
يعود إليه ربيع الشّباب
وتبدو بشاشته ناضرة
إذا بين مصطافنا معركٌ
تصول به النُّوبُ السّافرة
فيومٌ سقامٌ ويومٌ صيامٌ
ويومٌ جهلنا به آخره
وما ندرك الفرق بين الفصول
فأيامنا كلّها كافرة! ..

أنا .. ورمضان !..

آه لو يجدي بكائي ونحيبي
لألانتْ أدمعي صخر القلوب
إن يكن ذا الصوم جوعا فخطوبي
جعلت عمري جميعا رمضان
صائم طول الحياة
زادهُ تقوى الإله
صابر ، ما قال آه
أيها الناس ارحموه

* * *

ذلك الود بنيّ وبناتي
يتّموا من فقر عيشٍ في حياتي
وهمُ صومي لربّي وصَلاتي
لم يروْا من قادرٍ أيّ حنان
حكمة الصوم شعورٌ الألمْ
فاذكرونا واذكروا كيد الزّمان
صائم طول الحياة
زاده تقوى الاله
صابر ما قال آه

أيـهـــــــا الـنـاس ارحـــــــمـــــــوه

* * *

هــاهــو المغــــــــــرب وافــى ، أيــن زادى؟
وعـــــيـــــالى فى ارتقـــــاب لمعـــــادى
لـيس غـــــيـــــر الـدّمع زادي وعـــتـــــادى
مـــــوقـفٌ أقـــــتـلُ من وقع الـسِّـنان

* * *

أشـــعـــروا الـبـــائس شـــهـــراً بـالسُّـــرور
فـــــالـذى يـهـــــدأ بـالجــــوع يـثـــــور
إنّ لـــلأيّام أفـــــــــلاكـــــــــاً تــدور
كــم مُــعين ذاق بـؤســـاً فـــاســـتـــعـــان
صـــــائـم طـول الحـــــيـــــــاة
زاده تـــقــــــــــــــوى الإلـــــه
صـــــابر مـــــاقـــــــال آه
أيـهـــــــا الـنـاس ارحــــــمـــــــوه

* * *

لا تـروضـــــــــونـا عـلـى ذلّ الـســـــــؤال
لـيس يمحـــو عـــــزّتى رقَّـــة حـــــالى
أنـــا إن قـلَّ عـلـى الأيّـــام مــــــــــالى
لـــيـــس لـــلـدهـــر بـــإذلالـــى يـــدان
لـم يـرعـنـى بـين حـــــربٍ أو ســــــلام
غـــيـــر بخل الـنّاس فى شــهـــر الـصّـيام

يفطر العاجز عن نيل الطّعام
وهو ينعى فطره فى رمضان
صائم طول الحياه
زاده تقوى الإله
صابر ما قال آه
أيها الناس ارحموه

البائس فى رمضان !..

صـــــــــائم طـول الحـــــــيـــــــــاه(*)
زاده تـــقـــــــــــــــــوى الالـــه
مــــــــالــه فى الـنـاس جـــــــاه
صــــــــابر مـــــــا قـــــــال آه
أيـهـــــــا الـنـاس ارحـــــمـــــوه

* * *

والـذى أرسـلـكـم خـــــيـــــــر الأمم
جـــعـل الصـــوم كـــفــيـــــلا بـالكـرم
حـــيـــثـمـا جـــعــتم تُحـــسّــون الألم
إن لـلـمـــــحـــــروم فى المال قـــسم
أيـهـــــــا الـنـاس ارحـــــمـــــوه

* * *

أشـــعــــروا البـــائس يـومـــا بـالســـرور
تحـــــمـــــدوا بـين الـورى طـول الـدهـور
إن لـلأرزاق أفـــــــلاكـــــــا تـدور
والـذى يـهــــدأ أحـــيـــانا يـثــــور
أيـهـــــــا الـنـاس ارحـــــمـــــوه

* * *

(*) كرر الشاعر هنا المطلع نفسه الذى جاء بقصيدته «أنا ورمضان»

للمساكين افتحوا غُلف القلوب
واذكروهم فى شروق وغروب
إن فيهم جيشكم وقت الحروب
احفظوا المسكين من عادى الخطوب
أيها الناس ارحموه

* * *

ابعثوا الصحراء تخضرّ رباها
فجّروا الصمّاء شهداً أو مياها
بلّغوا الأوطان فى الدنيا مناها
إن للمسكين فى مصر أساها
أيها الناس ارحموه

* * *

بيته هذا العراءْ
ثوبه بال هباء
بين صيفٍ وشتاءْ
لم يصب إلا الشقاء
أيها الناس ارحموه

* * *

عاش منبوذا طريدا
يشرب البلوى وحيدا
فليعش فيكم سعيدا
أو يمت حرا شهيدا
أيها الناس ارحموه

صوت الفقير ...

فى تحية رمضان ...

أحييك أم أبكى لطول شقائى؟ ..
وأطريك أم أضفى عليك هجائى؟ ..
أيا رمضان الموسرين وعيدهم
وموسم أفراح لهم وهناء
يجوعون إذ يبغون بالجوع صحة
ويبغون بالإمساك كل شفاء
وما ذكروا جوع الفقير وعسره
ولا استشعروا بالصّوم أى سخاء
وما أمسكوا عن شهوة غير بطنهم
فما عرفوا للدّين ...ٍ أىّ وفاء ؟ ..
وآليت لم تمررْ بنا .. غير باخلٍ
نذوق على أيديك شرّ بلاءٍ
وإن كان صوم النّاس جوعا فإنّنا
صيامٌ ، كما تهوى ، صباح مساء
ونلقى مرىء الفطر صبحا مصادفا
ومُرّ الطوى فى مغرب وعشاء

(*) كذا فى الأصل .

يؤذّن بالإفطار للنّاس مغربا
ونحن حيارى لم نفز بذماء

* * *

إلى أمم الإسلام أزجي قصيدتي
وما هي إلا منيتي .. ورجائي
لقد وجد الإسلام في الأرضِ رحمةً
وأهلوه عاشوا قادة الرّحماء
وفي الصوم تذكير المياسير بالطّوى
ليسخوا بفضل المال للفقراء
ولا يعلنون البذل شأن سواهم
فإعلانه للناس لؤم رياء

فى المطار...

((زار الشاعر عبد الحميد الديب مطار ألماظة عام ١٩٣٨ فكتب هذه القصيدة الطريفة يصف فيها الطائرات والمطار وصفا لطيفا فكها)) .

غـــــاد يصـــــفّق بـالنّســــيم ورائـحُ ..
أهـى الـطّيـــــور ســـــــوانـحٌ وبـوارحُ
تحـــيـــــا حـــيـــــاة .. لامنّيـــة بعـــدهـا ..
كـم مــــــات عنهـــــا صـــــائدٌ أو ذابـح
تـنســـــاب فى الأفق الملبّـــــد مـــــثـلمـــــا
تـنســـــابُ رقْطٌ فـى الـرغــــــامِ لـوافحُ
ولـدى الأصـــيـل زوارق مـن فــــضـــــة
ومــــحــــيطـهـــــا ذهبٌ جـلـىٌّ واضحُ
جـــيـــاشـــةٌ فى طيـــرهـا وهبـــوطـهــــا
فـلـهـــــا فــــؤادٌ عـــاشـقٌ وجـــــوانِـحُ
إن يـدْنُ منهــــا النَّسْـــــر عــــاجله الـرّدى
لـم يـنجـــــه أظفــــــوره المتــــــواقـح ..
طيــــــرٌ بـلا ريش تـرى وحـــــــواصلٍ
لا نـائحٌ فـى ســــــربـهـــــا أو صــــادح
هى مــــعـــجــزاتٌ أين بْعــــدُ نبـــيـهـــا؟
بل أيـن «مـــوســـاها» الـقـــوىّ و«صـــالحُ»؟

* * *

((ألماظة)) وكـر لـهـا فى خـفـضـة
هو للجـبـال ولـلـسـمـاء الـنـاطـحُ
الطـائـرات بهـا المـنـايـا جُـمّـعـت
ضـاق الـغـزاة بـهـا وعـىّ الـفـاتحُ
لـلأرض منهـا مـسـتـقـرٌّ بيـنمـا
هى لـلـسـمـاء مـعـارجٌ ومـفـاتح
فلـو انّ فـرعـونـاً رآهـا مـادعـا
((هامان)) يبنى صـرحـه فـيطارحُ
ريّانهـا للـجـو قـهّـار ... ومـا
يـزهى بـه كِـبْـرا .. ولا يـتـبـاجـحُ
من عَـاش فى هـذا الـوجـود ولـم يـطـر
فـحـيـاتـه خـورٌ وخـوفٌ فـاضـح
فـالجـيـل .. طيـارٌ .. وغـواصٌ .. ومـنْ
يـطـلـبْ سـوى هـذا فـعـمـرٌ نـازحُ
ومـن اسـتـقـلّ الطـائراتِ يـجـد بـهـا
عـزمـا لـه فى السَّـعْـى خـطوٌ نـاجـحُ
ذكـرى ابن فـرناس تـعـيـد لـقـومـه
حـدبا عـلى الطيـران لايـتـسـانـح

زيارة الهرم ...

((كتب شاعر البؤس هذه القصيدة فى أيامه الأخيرة))

طلعتُ مع الشَّمس عند الهرمْ
يرفّ علىّ أريج النّسيم
وتنفحنى الوْرق حلْوَ النّغَم
أحيّى ملوك العلا والخلود

* * *

صعدتُ هبطتُ بهذا البناء
كأنّى أجوب بروج السّماءْ
دلفتُ إلِى جوفه المستضاء
كأنّىَ أجلو غموض القضاء
أحيىٍ ملوك العلا والخلود

* * *

هنا دولةٌ وهنا صوْلجانْ
هنا عرشُ فرعون بانى الزّمانْ
وموكبه الفخم والمهرجانْ
هنا المَلْك فى أمّة لاتُدانْ
أحيى ملوك العلا وَالخلود

* * *

أرى كـــاهنـاً فى خـــشـوع الـصَّـــلاة
أرى مـلـكـا طـائـراً فـى عُـــــلاه
وقـــائد مـــصــــر يُـذلّ الغـــزاة
يـخّـــرقـــهـم قـــادراً فى لـظـاه
أحـــــيى مـلـوك الـعـــــلا والخـلـود

* * *

«نـفـــرتيـت» والخـــرّد الـغـــانيـات
يـطفَنْ بـهـــا فى هوى الـعـــاشـــقـــات
ويـرقـــصْنَ فى خـــفَـــر شـــاديـاتْ
وبـاسْـم مـلـيك الـعـــلا هـاتِّـفـــات
أحـــيّى مـلـوك الـعـــلا والخـلـود

الفلاح البائس

((كتب الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٣٨ فى عنفوان الفساد السياسى الذى كان سائدا فى تلك الحقبة بمناسبة شكوى النواب إلى وزير المالية وقتئذ لجوع الفلاح وبؤسه .. فكانت هذه الخواطر التى تفيض أسى وسخطا)) .

علـى أطـلالهـــــا سكبـــــوا وناحــــــوا
وبعـــد خـــرابهـــا لـطمــــوا وصـــاحـــوا
وكــــانت فى الـغـنـى جنات «عــــدْنٍ»
بـهــــا للخــــيـــر أنـهــــارٌ وســـاحُ
فـــأصـــبحِ دوحــــهـــا أوكــــار بومٍ
وبات أجـــاجــــهـــا مـــاءٌ قـــراحِ
أذلَّ الـريّفَ جــــوعٌ وابتــــئـــاسٍ
كـــأنّ هلاكـــه قـــدرٌ مُـــبـــاحِ
وكـــان الـرّيف دور غـنـى وعـــز
وأهـل الـرّيف أمـــجـــاد ســمـــاح
علـى الـنواب كـــان مـــلام مــصـــر
فــهـم لـشـــقـــاء أمـــتــهـمْ أباحــوا
ألـم تخـتـــرهُم ســـفـــراءَ عنهـــا ...
ألـم يشـــمــلهـم منهـــا جناحُ
قـــد اســـتـجـدواْ نـيـابتـــهـــا فلمّـــا
أجـــابـت ، صـــوتـهم عـنهـــا أشـــاحـــوا

ولو رحموا كرامتها وخلّوا
كراسيهم أراحوا واستراحوا
أترضيهم مجاعتنا وفينا
لكل الأرض رفد وامتياح
معاذ النيل أن نغدو خماصا
وقد أكل البوادى واستراحوا

* * *

إذا النواب والحكام جادوا
بربع مرتّباتهمو أراحوا
ولم يشْك الطوى أحد بمصرٍ
ولم تظهر بعيشتنا جراحُ
شكوتم للوزير شقاء قومٍ
لهم فى اليسر مغدًى أومراحُ
لئن قُتلوا ضحايا الجوع يوماً
فمن تفريطكم كان السّلاحُ
على الأخلاق فى مصر عفاءٌ
فما لظلامها أبداً صباحُ
إذا لم تصلحِ الحكّام فينا
فما يرجى لنا أبداً صلاحُ ! .....

ساعة فى الأوقاف ...

((زار الديب وزارة الأوقاف عام ١٩٤٠ فكتب هذه القصيدة يصف ما رآه من مناظر وغرائب))

رفـــاتٌ عـــشـــشْـت فـــيـــه الطّيـــورُ
بـهـــا ولـغ الموظـف والـكـبـيـــر
فـــتـــات مـــوائد وغـــشـــاء مـــال
وأكـــلاء بـهـــا بَقـــرٌ يـخـــورّ
هـبطـتُ بـهـــا لأضـــحك بـعـض يـومـى
فـــأبكانى المبـــشّـــر والـنّـذيـر
رأيـتُ شـــبـــابـهـــا أقـــوى وهـدّتْ
فـــتّـــوتـه الأصـــائـلُ والـبـكـور
ومـــشـــيـــخـــة يدّب الموت فـــيـهـــا
من الأوقـــاف ضـــمّـــتـهـــا قـــصـــور
فـكـم من مكتـب قـــبـــعـتْ عـلـيـــه
مـن الأشـــيـــاخ عـــمـــيـــانٌ وعُـــور
فـــهـــذا ظـهـــزه قـــوسٌ يـنـادى
أصـمّ ، وصـــوتـه أبـدا جـــهـــيـــر
وثـــانٍ لا يُـــرّد لـــه قـــــــرارٌ
وفـــى أثـــوابـــه رجـــلٌ طـــريـــر

إلى الإنجليز...

سجنتمْ بلاد النّيل لم نلْقَ مُنجدا
يقيها من البأساء واليوم تطلقُ
ونحن بنى فرعون للحرب أمّةٌ
إذا ما دعا داعٍ إليها تصفّق
إذا دُولٌ طارتْ إليها سريعةً
فأضعفنا منها أشدُّ وأسْبَقُ
ونحن محيطٌ والخلائق فُلكه
فمن ضلّ منها شاطئ الحقّ يغرقُ
جنود من الفولاذ أقوى صلابةً
إذا أطبقوا بالخصم فالموت مطبقُ
لئن خلتمو عمق السياسة نافعا
فإنّ قوى الإيمان بالحرب أعمقُ
وإن نلتمو بالكتب عهدا وموثقا
فإن عهودَ السّيف أوفى وأصدقُ
دعوا السّلم أنتم قاتلوه وإنّما
ضعفتم فقلتمْ نحن للسلم نعشقُ

إلى قوات الاحتلال الإنجليزى

كما شئتم فما نخشى انتقاما
خلقنا للأسى صُبُراً كراما
نفَى عنّا المخاوف أنّ فينا
عزائم تصرع الموت الزؤاما
ولو مات امرؤ منّا شهيدا
لصارعكم رفاتا أو عظاما
وما نرجو نعيمكمو سلاما
وما نخشى جحيمكمو خصاما
وأيقاظاً تراهم فى كفاح
وتلقى غيرهمْ أبداً نياماً
أناسٌ هم ملائكة وجنٌّ
بنوا فوق السِّماك لهم مقاما
قبيلٌ أحمر الوثبات قاس
على الظُّلاّم يصرعهم ظلاماً
إذا لم تحسُ كأسهمو نفوسٌ
سقوها بعد ذلّتها الحماما
وكم مستهتر آوى إليهمْ
فما زالوا به حتّى استقاما

(*) كتب الشاعر هذه القصيدة التى تفيض ثورة وسخطا عام ١٩٣٨ .

نُقلّم ضابطا منّا كيادا
وكل بلادنا كرمت مقاما
فإن حُبس الغضنفر فى محيل
يجيع الناس لم يعدم طعاماً
نقلتمْ .. أو فصلتمْ .. أو قتلتمْ
فما نرجو العدالة فى القدامى
إذا حاق اضطهادكمُ أنفْنا
ولم نسألكمو أبدا إلاماَ ؟ ..
يمّر بنا العذاب ليوم نصر
تبلغنا به الدنيا المراما
تَنافسْنا ثباتاً واحتمالاً
فأدركنا المنى عاما فعاما
وها هو يومنا وافى وولّتْ
عهود الظلم وانقشعت غماما

قتلتم الناس جوعا ...

يا خـــائفى الحـــرب ، مـــاذا تحـــذرون بـهـــا
وأنــتـــمُ دونَ هــول الحـــــــرب أمـــــــواتُ
قـــتلتمُ النّاس جـــوعــــاً من تـهـــالككُم
على الثّـــراء ، فـــلاعـــشـــتمْ ولا مـــاتـوا
أنتمْ عـــبـــيـــد الـغنى والحـــرب كـــافلةٌ
أن يُـعـــمِّــــر الأرض قـــوّامـــون ســـاداتُ
كـم ذا أكلـتمْ على حـــرمـــاننا ذهـبـــاً
والـيـــوم تُـعْـــوزكـمْ فى الحـــرب أقـــواتُ
لـولا الأشـــحّـــة فى الـدّنـيـــا لما رويتْ
بـهـــا الظُّبى وغـــدا للـســـيف إصـلاتُ
قــالـوا ســلامٌ فـــقلنا ضلّ رأيكمُ
الأرض فـــيــهـــا ثـعـــابينٌ وحـــيّـــات
أعـــاد طوفـــان نوح طـهـــرها غـــرقـــا
والـيـــوم طـوفـــانـهـــا نـارٌ وغـــاراتُ
إن كـــان للـبـــعث أشـــراطٌ مـــقـــدّرةٌ
فـــمـــالـهـــا فى هدوء السّلم مـــيـــقـــاتُ
هى الـقـــيـــامـــة من يـحـــيـــا بـصـــرعـتـهـــا
نمـت بــه الأرض سـكّـانٌ وأبـيــــــــــاتُ

الجهاد ...

اليوم يقوى فى الحياة أساسى
ويطيب من فيض المدامع كاسى
لا أرغب الدنيا ولا أخشى الردَّى
وتعيش يا وطنى العزيز وناسى
والموت حتم فلأمت مستشهدا
وأقابل الإعدام .. بالإيناسِ
ماذا وراء العمر إذ أحيا بهِ
هملاً بغير قضيّة وقياس
أملى وراء الشمس إن وهنتْ به
نفسى فما فى ميتتى من باسِ
ردوا علىّ قصائدى ومواهبى
إن لم يزلزلْ أرضَ مصر حماسى
إن لم أكن فوق «المهلهل» عزمة(*)
وثّابةً تقضى على «جساس»
فى هدأة البركان خَوْفُ زلازل ..
كالبعث توقظ ساكن الأرماس

(*) إشارة إلى حكاية المهلهل وجساس من الأقاصيص الشعبية .

فضائح التموين ...

فى غـــــــابة الــوحــش ثــارتْ
عـــــــواصفٌ مــن جــــــهنّمْ
الأرضِ منهـــا اســـتـــجـــارتْ
والصّــــــخـــر منهـــا تـكـلّمْ
ومـــاشـــدا الطيـــر فـــيـــهـــا
إلا الـــنّـعــــــــيب المـنُـغّـم
قـــــال الــوحـــــــوش «الـذئـب»
مُـــــرِّ الـعـــــــواء : تـقــــدَّمْ
فـــالحــــاكم اليـــــوم ليْثٌ
وصــــــاحب الـلّـيـــث «مـكـرمْ»
كم قـــــبْل حكـمكَ شـــمْـنـا
فـــيك المســـيح بَـن مـــريم
يا مُـــســـتـــغـــاث جـــيـــاعٍ
أكـلـتَ شـــعـــبك فـــارحم

إلى الحرب ...

هاتي السّلاح فإنّ الحرب بالباب
وحطّمي كل أقداحي وأكوابي
ردّي عليّ من الأشعار ما فرغت
من الظبي والوغى والظّفر والنّاب

* * *

يا حاكمين بمصر يوم محنتها
ماذا ادّخرتم لها في حظّها الكابي ؟
كنانة الله لكن لا سهام بها
ياويلها من أذى أهل وأحباب
لو ادّخرتم كراماً بعض ما الكمو
لقوّة الجيش أمسى جدّ غلاّب
أئن دعا الحرب كنتم كالنعام به
وهمّكم في جنى غنم وأسلاب ؟
وفي السّلام رؤوس تحكمون بنا
وفي الحروب نراكم محض أذناب
قد خنتمو الشعب في أيام حكمكم
فلا يرى الخصم منه أيّ إرهاب
كم شدتم معهداً للعلم بل هرماً

هلاَّ بنيتم لحربٍ شبه «كُتَّاب» ؟ ..

* * *

دقت طبول الوغى والجند قد شخصتْ
إلى المنايا أسودا غير هُيَّابِ
والجوّ سُدّ بسحْب من مثارهم
في منظر من لباس الحَرب خلاَّب
كلٌّ تعاوده الذكرى فيصرعها
وليس في نصره يوما بمرتاب
وفي الملاحم قدِّرْ كلّ مفزعة
فما يفيدك تهويلي وإطنابي ؟
ونحن لاهون في حفْل وفي طَرب
وفي مفاخر أحساب وألقابَ
نحن الضّحايا لرجعيِّن مالهم
في عزّة العيش من حظٍّ وآدابِ
تذبذبوا في الأماني ماترى بهمْ
مهما ادّعْوا واستطالوا غير كذّاب

فلسطين الدماء ...

أقـــتلتــــهم بالحـــسن أم قـــتلوك ؟
الشّــــــمس أمّــكِ والـهـــــلالُ أبـوكَ
دار الـنّـبــــوة والـعـــروبـة والـهـــدىَ
خـــفـــروا ذمـــامك بالـدم المســفــوك
جـــهلوا علـيك ومـــادروك فـــأمـــعنوا
فى قـــتل قـــومك .. ليــتــهم رحـــمـوك

* * *

تيـــــهى «فلسطين الـدمـــاء» على الـورى
إن المـــلائــك والمــلــوك بـــنــوك
فلربَّ ظبيٍ من بنيك مُـــهـــفـــهف
بجـــمـــاله وحـــســـامـه يـفـــديك
نـامـت عـــيـــون الـنّـاس إلا عـــينـهَ
حـــتى يصــيب الثـــأر من رامـــيـك
ولِـربَّ شــيخٍ من بـنـيك مـــحــطّمٍ
بهــر الـوجـــود صِـبـــاً .. لكى يحــمـيكَ

(*) قيلت أثناء الانتداب البريطانى على فلسطين عام ١٩٤٠ .

خلّوا الكتابة للمدافع والظبى؟!

حيِّ الربيع غضارة وعبيرا
واخبُ الشّباب توثّباً ونضيرا
واختْر لدى سكنى البناء جديده
إنّ القديم به غدا مدحورا
والناس والأيّام ليست دولةً
بل تستحيل تداولا وعصورا
كن أنت إسرافيل دون قيامة
واجعل من الهرم المخلَّد صوراً
واهتف بشعبك أن يثور مجاهدا
مازال خطب الغاصبين خطيرا
القيد ضوعف وزنه وإساره
والسّجن أصبح للبلاد سعيرا
لا يزدهيك من القصور رواؤها
فالذلّ صيرها بمصر قبورا
من هؤلاء الغاصبين وصحبهم
جاهد ليُمحَوْا أو تموت فخورا
والشّعب مُصغٍ إن صرخت إلى الوغى
لبىَّ النداء غضافرا وصقورا
خلّوا الكتابة للمدافع والظّبى

فلقد كتبتمْ باليراع كثيرا
لاتبدعوا سحر المعاول حقبة
معشار إبداع الحروب دهورا

* * *

أنا شاعر منا كنت فيكمْ شاعراً
إن لم أكن أسدا بعصر هصورا
خلّوا المفاخر للرّجولة وحدها
تُحيي الرجولة مبدأ ونصيرا
إنّا لنرقب للكنانة دولةً
ملء البسيطة قوةً وظهورا
يبني الشباب جلالها وجمالها
ويزود عنها غدوة وبكورا

تعست أماني الحكم !..

((كتب الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٣٨ ساخطا فيها على سوء الحكم والفساد السياسى الذى كان مسيطرا على مصر فى تلك الحقبة))

لا ضـــــاربٌ منكم ولا مـــــضـــــروبُ
أنتمْ جـــمـــيـــعـــا مـــعـــشـــرٌ مـــغـــلوبُ
وإذا الـــعـــصىّ غـــدت ســـلاح حكومـــة
فـــمن الأعـــابد شـــعـــبـــهـــا المنكوبُ
كل الـــشـــعـــوب ســـلاحـــهـــا من مـــعـــدن
وســـلاح مـــصـــر حـــجـــارة أو طـــوب
والـــشـــاء إن زكت الـــعـــداوة بـــيـــنـــهـــا
عـــوت الـــثّـــعـــالـــب فـــرحـــة «والذّيب»
يـــا خـــائـــبـــين تـــذكّـــروا آلامـــكـــم
إن الـــعـــدوّ من الـــبـــلاد قـــريـــب
تـــعـــســـت أمـــانى الحـــكم فـــهى مـــذلّـــة
ومـــطـــامعٌ منـــهـــا الإله غـــضـــوب
مـــســـتـــوزرون ومـــابكـــم من صـــالحٍ
لـــبـــلاده بل مـــاكـــرٌ ومـــريـــب
والحـــكم إن يـــقـــصـــد بـــه أخـــلاقـــه
فـــســـنـــاؤه فـــجـــر بمـــصـــر كـــذوب
خـــلّوا الحـــكومـــة واكـــســـبـــوا أرزاقـــكـــم

من غــــيــــرهـا ، ومـن المـآثـم تـوبـوا
أبـكـل يـوم مـــعــــركٌ وتـظـاهـرٌ
والخــصم يـرسل سـهـمـه فـيـصيب

* * *

لســتم لنـا الأكـفـاء أنـتم عـصـبـةٌ
مــا فى جـهـادكُـم لمصـر نـصـيـب
حــتـمـا سـيـأخـذكمْ عـلى أعـنـاقـكـم
يـومٌ بـأخـــذ الـظّـالمـين رهـيـب
يـوم الـشّـبـاب الـطـامـحـين وإنـه
كـغــد لمن يـرجـو سـنـاه قـريـب

وطني لوجهك هجرتي ومحبتي ...

اليوم تسمعنا السماء لأنّه
نطقٌ بلا كلم ولا أصوات
هذا أوان دم يراق وفرحةً
تولى الشهيد مضاعف الرّحمات
تتكلّم الأرواح بين مسامعٍ
عقدتْ بأشرف أنفس وذوات ..
الموت عندهمُ حياةٌ بينمَا
تلك الحياة مباءة الأموات
لم يُجْدنا عهد الكلام وإن غدا
شدْوا يفيض بساحر النغمات
فتكلّموا نغم النّضال مجلّلاً
بدم الضحايا صادقى العزمات
لاتسمعوا إلاّ صراخ مقاتل
ورنين صمصامٍ وقصف قناةً
ومجاهد فى الله يغشاه الرّدى
فيصيح ياوطنى إليك حياتى
إن الشّباب إذا المشيب تقاعدوا
هم عدّة الأوطان فى الأزمات

* * *

وطنى لوجـــــهك هجــــبرتى ومــــــحـــــبّــــتى
وإلـيك كــل مـــــــــواهبى وهــبــــــاتى
أفـــــدى رغـــــامك بـالحــــيـــــاة وبالمنى
حـــــتى تعـــــيش مـــعــــززّ الجنبـــــات
نـحن الـفـــــداء لمصـــــر تبـــــقى حـــــرةً
ونمــوت مــــــــــوت أعــــــــــزة وأبـــاة
الـيـــــوم رنّت فـى الـكـنانـة صـــــرخـــــةٌ
لـلـحق غـّطـتْ ســــابق الـصـــــرخـــــات
الـيـــــوم إمَّـــــا أن نعـــــيش أعـــــزَّةً
أو أن نمــوت أعـــــــــزّة الأمـــــــــوات
هـى ضـــجـــعـــــةٌ روحى بـهـــا فـى جنة
مـــــاذا يـهـمّ إذا فـــقـــــدت حـــيـــــاتى؟!..ّ

مالى وللحرب أصلاها وتصلانى ؟!

«قالها الشاعر فى غمرة الاتجاه الذى كان ينادى بأن الحرب العالمية الثانية ليس لمصر فيها ناقة ولا جمل»

لا "التشك" خصمى ولا "السّوديت" أعوانى
مالى وللحرب أصلاها وتصلانى ؟!
جُناتها التشْك والألمان فليقفوا
وجها لوجه وأقرانا لأقران
ميدانها واحدٌ والموقودون بها
يبغون أن تتعدى ألف ميدان
أعزز علينا إذا جد النفير لها
أن تقتضى من دمانا أى قربان

* * *

للإنجليز علينا ذمّةٌ عظمت
من أن تداس بتسويف ونسيان
لكنها عهد أكفاء سواسية
لا طاعة العبد فى ذلّ وخذلانَ
قالوا معاهدة قلنا لهم كَذبٌ
وإفك مضطرب فى الشّر خوّان
هذا هو القيد إلاّ أنّه ذهَبٌ
والسّجن بين ربى جنّات عدنان

لو قــدرونا اســتــشـاورونا بما اعــتــزمــوا
فى الحـــرب والسّـلم عن حبٍ ووجـــدان
لـكنـهـم أبرمـــوا دون اســتــشــارتنا
بيْـنـا يُـرجّـــــون منـا كـل إذعـــــان
أكـلّـمـــا ظـهـــرت فى الكـون نـائبـــةٌ
يُصـــيـــبنا من لـظاهـا حــرقــة الجـــانى
يـجنـى ســـوانا ونحن الـغـــارمـــون لـه
هـذا هـو الـرأى والـعـــدل الـبـــريطـانى

* * *

يا ســاســة «المـنش» خلّوهـا مــســاومــةً
لاقـــهـــر ظلم ولا إذعـــان طغــيـــان
أليس حــقّــاً لـنا أن نـقــتــضى ثـمنا
عـن حـــربنا جنـد ألمـان وطـلـيـــان
لـن نـدخل الحـــرب إلا بعـــدَ عـــهـــدكـم
أن تـرحلـوا الدهـر عن مـــصـــر وســـودان ...

الحرب الحرب

((قيلت ونذر الحرب العالمية الثانية تلوح فى الأفق))

أيّهـــا السّـــامـــرون فى الليل عـــودوا
شـــبت الحـــرب واســـتـــعـــد الجنودُ
أيّهـــا اللاعـــبـــون يكفى ، ســـراعـــا
لـلـوغى فـــــوقـكـــم تـرفُّ الـبـنـودُ
يـا شـــبـــابـاً تـضـــوّع الكون عـطـرا
من شـــذاه لأنتَ بـعْـــدُ الـشـــهـــيـــدُ
ذاك عـــرس الـتـــراب كم زُفّ فـــيـــه
مـن أنـاس عـــيـــونهمْ والـقـــدودُ
فِـي غـــدٍ ينتـــهى الـوجـــود ويخـــفي
ويـرى الـبـَــعـث دونـه والـوعـــيـــدُ

* * *

أيّهـــا العـــاطشـــون للدم يجـــرى
دونـكـم فـــانـهـلـوا وروّوا وزيـدوا
يـاعـــداة السّـــلام كم مـن أذاكـمِ
أخـــفـــرت ذمّـــةٌ وديـست عـــهـــود
كـل مـن مـــات أنتمُ قـــاتـلـوه
أنـتـمُ الـنّـار فـى الـوغـى والحـــديدُ
كـل مـن فِى الـوجـــود هـب من الـنـوم

أخاً خائفاً وأنتم رقودُ
ذلك الحزن والمآتم تترِي
كم لكم دونها هناءٌ وعيدُ

* * *

أيها الحاكمون فى النّاس مهلا
أنتم سادةٌ ونحن العبيد
إنّما الحرب للشّعوب صراطٌ
ففناء مصيرها أو خلودُ ..

إلى الجهاد ...

إلى الجهاد واملئوا الدّنيا دما
لا تتركوا أرضا بها ولا سما
لا عاش من يحيا ذليلا مرغما
وفيكم الفداء يا أسدَ الحمى

* * *

إلى السّجون أو نرى استقلالا
فالسّجن للأحرار جنّات النّعيمْ
ونفذوا إن شئتمو إعدامنا
فعيش الاستعباد فى نار الجحيمْ

* * *

خلوا الهدوء والهناءَ للضّعافْ
ولا تناموا إنّ فى الموت منامْ
براءة الأوطان من غرٍّ يخاف
إلى الحروبَ ... لا تحنّوا للسلام

* * *

ما الخلد إلا للضحايا فى النضالْ
بناهُ رى من نفوس ودماء
يا للشّباب للصراع والقتالْ
فصرخة الأوطان تدعو للفداء

* * *

إلى الجهاد واستردوا ما اندثرْ
من مُلك فرعون العظيم القاهر
ولتجمعوا الشمس لمصرٍ والقمرْ
فى ليل مقدامٍ وصبحٍ ظافر

* * *

للدّهر طعنات وأنتمْ كفؤها
فعرّضوا لوقعها حرّ الصدور
وردّدوا إنّا لها ... إنّا لها
ولتحيَ مصر حرة طول الدّهور

الخونة ...

« تأثر الشاعر للصورة الذليلة التى كان يرتضيها بعض الجواسيس لأنفسهم فى سبيل رفاهية عيشهم إبان الاحتلال الانجليزى وراعه أن هذه الطائفة لا تتورع عن إهدار دماء الوطنيين وإزهاق أرواحهم فسجل هذه الخواطر الثائرة فى الأبيات التالية:»

بين اللآلئ أحـــــجـــــار لـهـــــا شـــــانُ
كـــــأنّما هى يـاقـــــوتٌ ومَـــــرجـــــانُ
وبـــين نجـم الـرّوابـى نـاضـــــــــــرٌ ألـقٌ
لـكـنّـه حـــــسـكٌ راو وســـــعـــــدانُ
كـــــذأبك الـدّهـر من قَـــــوم أبالســـــة
مـــــا فـــــيـهم لمجـــــالى الخــــير إنســـــان
صلّـوا وصـــامـــوا وهـمْ فـــسّـــاق أمـــتّـــهـمْ
وكـلّـهـمْ ســـــاقط الآمــــــال خـــــوّانُ
كـم أهـدروا مـن دم حـــــرٍ وكـم ســـــجـنـوا
وكـــم أذلّ بـــهـم قـــــــومٌ وأوطـــانُ
ثـعـــالـبٌ وذئابٌ فـى حـــقـــيـقـــتـــهـمْ
وفـى تـنـكـرهـمْ شـــــاءٌ وحـــــمـــــلانُ
حـــربٌ عـلى الشّـعب فى أيّـام مـــحـنـتـــه
وهـم لأعـــــــدائه جـنـدٌ وأعـــــــوانُ
يـنـدسّ واحـــدهمْ فى أىّ مـــجـــتـــمـعِ
كـــــأنّـه بـيـنـه لـلـذلّ عـنـوانُ

تملقٌ ورياءٌ في مُصانعَة
يلين في كلّ لمس وهو ثعبانَ
الخائنون أذلّ العيشُ أنفسهمْ
لا كان عيشهمُ فينا ولا كانوا

أنا الشعب ...

عــــــرفت الـيــــــوم أنَّا قـــــــادرونا
وأنّـا الـصـــــابرون الـصـــــادقـــونا
فـــأين كـــتــــائب الأحـــزاب منّـا
وأين الحـــاقـــدون المرجـــفـــونا ؟
يـقـــــــومّ واحــــــــدٌ منّـــا بـألـف
فــقـــد ملك الإرادة واليـــقـــينـاً
ومن يُطع الإلـه حــــبـــاه نـصـــراً
وأعـلـى كـــعـــبـــه دنيـــا ودينا
صـبـــغـنا الـدّهر مـــصــريّاً فــصنًّا
من الأحـــداث مـــجـــد الأقـــدمـــينا
وإن شــــئـنا الـزّمــــان غـــدا ســــلامـــاً
وإن شـــئـنا غــــدا حـــرباً زؤامـــا
ســـتــبلغ مــصــــر فى الدنيـــا مناهـا
مـــتى كنّا بمصـــر الحـــاكـــمـــينا
هـنالـك تســـبق الدّنيـــا جـــمـــيـــعـــا
جـــيـــوش لـن تـذلَّ ولـن تـهــــونا
وتـغــــــزو أو تـرى آبـاء صـــــــدق
بما رجـــعـــتــه قــد قــرّوا عــيــونـاً
ولــم نـخـش المـقـــــاصل فــى مـناهـا
ولـم نـخـش المعـــاقل والسّــجـــونا

إلى السادة الوزراء !..

سمعتُم رعوداً ألم تسمعوا ؟
رأيتُم بروقاً ألم تجزعوا ؟
أما تستحون لهذا المجون
.. أليس من الشّيب ما يردعُ؟
أما تستحون لهذا الخراب
وقد هلك الطفل والمرضع ؟
فتشتتُ السّياسة والسائسين
فما الكمو بينهمْ موضعُ !
فهذا هو الهول يوم الوعيد
وكلكُم راح يستمتعُ !
أفى ساحة الكون بين الدماء
يقام المصيف أو المربعُ ؟
أفى مأتم قام عرس لمصر
تقرّ به العين والمسمعُ ؟
رئيس الوزارة فوق السفين
يغنى بليلاه أو يسمعُ
تكال له المتع الوافيات
وللوطن الموت والمصرعُ ..

* * *

دعـــوا الحكم لســـتمْ كــفــاءً لـه
ومـــــا فـى هــداكـم لـنـا مـطـمـع ؟
لـكُـمْ أوجـــــه كـلّـهـــــا أعـينٌ
ورجـــــلان لـلـسّـــــعى لا أربـعُ
وأيـاّمكـمْ قـــســمَـــةٌ للحـــيـــاة
بـهـــا مـــايـســـرّ ومـــا يـفـــجعُ
ســـــقــــوط الـوزيـر إذا لـم يـكـنٍ
إلـيـــــه لأوطـانـه مـــــفـــــزع
ومـــن ذا الـــوزيـــر وتـــاج الـــوزيـــر
ولـيـــــا يـضـــــرّ ولايـنـفـعُ ؟
هـبـــوا أنـكـم أعـــدل الـكـائـنـات
فـمـــا عــدل مـســتـضـعف يـصـفعُ ؟!..

حكومة الزنج

برامكةٌ وليس لهم رشيدُ
وأقيالٌ وكلُّهمُ عبيدُ
مدحتهمُ فما شرفوا بشعرى
لخسّتهمْ ، وما شرف القصيد
وصغت هجاءهم فإذا الأهاجي
على الأفواه لحنٌ أو نشيد
لقد حكموا وما كانوا عدولا
فعادوا كلَّ ذى شرف وعُودوا
فما لسوالف منهمْ قديم
وما لخوالف منهَمْ جديد
وأسفل صاعد للمجد قومٌ
على حُرماتهمْ كَان الصعود
لكيما يحكموا ركعوا هواناً
وطاب لهم من الذّلّ السّجود
فيابئس الحكومة والمعالى
إذا ارتفعت إلى الحكم العبيد

* * *

(*) نقد لاذع لنظام الحكم فى مصر ، ولسياسة الملك فاروق حينما ركز سلطة القصر ورياسة الوزارة فى يد شقيقين تقاسما حكم مصر .

أينعم من وفير المال قومٌ
لأجل ثرائهمْ ذابت كبود
ولون سيادة الدّنيا إباءٌ
فإن يُفقدْ فتربتها الخدود
وتعسا للعرين فمذ تعالت
به الجرذان جافته الأسود
فشلنا والمواهب من أُناس
غباؤهُم له حظ رشيد
فأيقاظا دلفْنا فى دجاهمْ
وقضّوا صبحنا وهُم رقود

* * *

لقد رجّعتُ آهاتى طوالاً
ورجّعها معى الجَم العديد
وما ندرى ، وما يدرون يوما
لعمر الدهر ، مَنْ منا السّعيد

غضبة فرعون ...

« كتبها الديب عام ١٩٤٠ فى أثناء الحرب العالمية الثانية ثائرا على الانجليز لتحكمهم فى شئون مصر الداخلية» .

مــــاذا اســـتـــخـّــفك حـــتى جُـــستَ آجـــامى
لا راهبـــاً غـــضـــبـــتى أو خـــائفـــاً جـــامى
رزءُ الـسّـــمـــاحـــة أن تُـعطى لجـــاحـــدهـا
وأن يـجـــــود حـــــيـــــاهـا ربّـَع إجــــرام
حطـمـــتُـــه صـــولجـــاناً ليـس يـعـــصـــمنى
لؤم الـضـــعـــاف طغـــوا من فـــيض إكـــرام
أشــبــعـــتُــهُم فـــأجـــاعـــوا من خـــلائـقـــهم
مـــالا يُـهـــذّب فى جـــوع وإطعـــــام
قل لـلخـــفـــافـــيشِ إن الشّـــمس طـالعـــةٌ
وســـاحـــة النّور لـم تُـخـلـق لـهـــوام
مـــا لـلـثـــعـــالب ضلّـت من مـطاردهـا
جـــحـــورهـا ، واســـتـــبـــاحت غـــيل ضـــرغـــام
أمـــام ذئب فـــلاة قـــد جـــرت فـــزعـــاً
وفـى حـــمـى الـليّـث تبـــدى بـأس هجـــام
تلـك الـثـــعـــالب يســـتـــعلى بهـــا مـــلأٌ
هم عـــصـــبـــة الجُبن فى شـــعـــبى وأقـــوامى
أأمّـــة عـــجـــزت عن صـــون بـيـضـــتـــهـــا

ومــــالهـــا عـــــصــــمــــةٌ من جــرحـــهــــا الــدّامى
تُــعــلــى وتــخــــــــــفــض مـــن حـــكّـام مملـــكــتـى
كـــــــلاًّ ، فــلـيس رضــــــــاع الـــذلّ حــكـامى
لا تحــــســــبــــوا أن فــــوق التّـــــاج مُـلككمـــــو
ألبـــــأس بـأسىَ ، والصّـــمـــصـــام صــمــصـــامى
بـنيت مـــجـــــدى من عـــــز ومـن شــــــرف
عـلـى أســـــــــاسينْ ، إيمـــانى وَإقــــــــدامى

* * *

هى القـــيـــــامـــة إن مـــسّت مطامـــعكم
عُـــلا ســــريرى ورمـــــتمْ فــــيـــــه إرغــــامى
لـى من مــــعــــونة ربِّى جند مــــقــــتــــدر
وفــــوق أعــــلامكمْ أضـــغـــــاث أحـــلامٌ
ذلّ الإســـــــار عـلـيكم قـــــيـــــــده ذُبـحتْ
بـه مـــــــهـــــــابـتكم ، يـاشـــــعب أغـنام
يـا كـــــاذبين عـلى الـدنيــــا بـحــــربكمــــــو
ونـصـــــــركم بـينهـــــــا تـزويـرُ أرقـــــــام
لو شـــئت ، أوشـــــاء شـــعـــــبى كـنتم أُكــــلا
لحــــــوت نيلى ، وأحـــــــجــــارا لأهـرامى

وصف معركة بحرية ...

سَــــرتْ بين مَــــرهُوبيْن ليلِ مُنافقٍ
وبحْـــر مـــدى الدنيـــا خـفـيّ الطرائقِ
كـتـــائب فُلك جُنِّدتْ لكريهـــة
وحــرب بهـــا تبـيَض ســود المفارقَ
إذا مـــارست كـــانت جبـــال مـــرادة
وإن أقلَعتْ كـــانت قــلاع تســابق
ويعصمهـــا من بغتـــة الخطب فتـيـةٌ
رِضَـــاعُ الـوغى لم يعبـــأوا أيّ طارق
مُـــرهَّفَـــةٌ أرواحـــهم وجســـومهم
مُـضَّـــمـخَّـــة أثـوابهمْ بالمعـــابق
وهم بـين دنيـــا البـحـــر أشـبـــاه موجـه
كُـمـــاةُ نضـــال دائمٍ متـــلاحق
وهم في مُــفـــاداة السـفين وصـونه
عطاشى إلى مـــوتِ لدي الحـــرب شـــائق

* * *

تـصـــدَّتْ لـهـــذا الفُلك رقطاءُ خـبّــأتْ
تجـاعـيـدها من كَـيـد رام وراشق
فـألقت عليه مسـعـراً من جحـيـمـهـا
أنابـيـل نارِ بـين مُـــردٍ ومـــاحق

وزكّت نسور الجو ، قامت بغارة
رمايتها الشعواء تحصد مابقىً
فأصْلَتْ ، وأصلاها السّفين جهنّماً
لظاها قضاءٌ لم يجد أى عائق
بوارج تُفنى الطائرات بحالق
وأخرى تقد الغائصات بساحقٍ
ودوّتْ بأرجاء الجحيم صواعقٌ
لها أنصت الجبارُ إنصات حانق
تحدٍّ لماء البحر صخرية اللظى
به مُهدرٌ فى العقل فهم الحقائق
قد اجتمع الضدّان فلتسقُط النُّهى
فقد تهلك الدّنيا ببعض الخوارق
ورجعت الأرواح صيحات هالعٍ
من الموت مذهول ، وصرخات غارقٍ
وبارجة قاست بمحنة حينها
مقاساة توّاق لدنياه عاشق
تغُوص وتطفُو كالسّراج إذا خبا
وهلّ بأرماق الذبيح المفارق
وكم دارعات هدهَد الموت عابثا
بقَيّات ألواحٍ لها ونمارقِ

* * *

بدا الصبح ليلا بالمحيط وقد علا
إلى النّجم وهاجُ اللظى والحرائق
ولم يقض غير «القُبّطان» وقد نجا
من الموت ملاّحون فوق الزّوارق
كذلك أبطال البحار وفاؤهم
لفلكهمو كالسّلسل المتدافق
تبدَّى على ظهر السفينة واقفا
مُحاطاً بأعلام لها وبيارق
وهامته فوق المواكب رِفعةً
ومن وجهه الوضّاح فيضُ مشارق
فغاص وإيّاها قريراً كأنّما
هما توأمان في رُفاتٍ مُلاصق

* * *

وما مر هذا الليل إلا على دمٍ
سُلاف لحى الحوت حناءُ نافق
قد احترّقت فيه النّجومُ فما بدا
بها من دخان أو لظى أي بارق
ولم يبق في التّيارَ إلاّ ثمالةٌ
بقايا سفين أو بقايا خلائق
إذا لم تكن حرب البَحار قيامةً
فأشْراطُها منها عقيدة واثق

بين تحتمس وفاروق

دخل الشاعر إلى غرفة زعيم حزب مصر الفتاة يبثه شكواه فوجد تمثال تحتمس الثالث موضوعا أمامه وفوق رأسه صورة الملك فاروق وأمامه صورة زيتية حول الفلاحين الذين كرس لهم حياته وجهوده فأهاجه هذا المنظر فقال :

تذكرت الفداء فعفت نفسي ... وعاودني الهوى فذكرت بأسي
وفاضت بي هموم مترعات ... فلا حزن يفيد ولا تأسي
قتلت أبا الخليقة؟ أي وربي! ... فعاداني الورى من كل جنس
وقالوا سادرٌ ورضيع كأس ... وما قالوا سوى إفك ودس
وفلسفة ركنت إلى هداها ... فكان بعطفها قيدي وحبسي
أقمتم مأتمي في بكر عمري ... فهلا قد أقمتم يوم عرسي؟
دخلت إلى الرئيس[*] أبث حزني ... وأطلعه على آلام نفسي
دخلت بمعقل يحوي ملوكا ... تماثيل ازدهت في شبه حس
تحتمس في شباب عبقري ... تنزه جسمه عن كل رجس
أمام عيون أحمد يجتليه ... ويسمع منه ما يفضي بهمس
وينفث في زعيم الجيل روحا ... إلى الغزوات يصبحها ويمسي
تذكرت العزيز بيوم حرب ... تقاد له الملوك بعين شمس
ومصر بعهده ملكت شعوبا ... فأين اليوم من ملكوت أمس
هنا أبصرت إيمانا وحسنا ... ورونق جنة وضياء شمس
لفاروق وأي مليك شعب ... تغلغل حبه في كل نفس

(*) يقصد بالرئيس أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة ، ونشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٩

على رأس الرئيس بدا بسيما وصورته تشع بكل أنس
ودون الصولجان رأيت قوما لهم سيماء من سكنوا برمس
ينادون الرئيس نداء شاك بمنجله يدلل أو بفأس
وها هم قد رأوه لهم ظهيرا عن الفلاح يشرب كل كأس
سقى أعطافهم أمل نضير فما شعروا على الجلى بيأس!

حطم السجن

أقدم فقد يئس المسجون واضطربا ... وحطم السجن لاتعدل به رهبا
رو الكنانة ، إمـا بالندى غدقـا ... أو من دماء الضحايا روها حربا
جعنا وذقنا الأسى من حكم مشيخة ... بكلدنا يـأكلون الخـز والذهـبـا
وإن شكونا يزيدوا عيشنا حرقا ... كالنار إن تخب زادوا فوقها حطبا
واليوم جئت فكفكف دمعنا كرما ... وحطم الشيب لا لوما ولاعـتبا
أتى زمانك فلتملك على شغف ... أزمّة الشعب عهد الشيب قد ذهبا
قـد الجنود إلى الميدان مـغتـبطا ... وكن على مصر فى بأسـائها حدبا
وهبت روحك للأوطان تنصرها ... فأنت أكرم من زكى ومن وهبا
يا ابن الحسين هى الدنيا ففز بطلا ... فيها ولاتك مهما أرهقت سلبا
والبس لها كل يوم درع غالبها ... مقـدفا لا مـسوحا يؤثـر الهربا
مصر الفتاة وقد أعليت حجتها ... بنيتها من قوى لاتعرف النصبا
خذ الحكومة إن قسرا وإن قدرا ... فالحكم يعشق من قاسى ومن غلبا

(*) موجهة إلى أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة فى الفترة التى كان فيها الديب شاعر الحزب (١٩٣٨)

القوة حياة الشعوب

أهم كــــامن الـدنيـــــا إذا كنت تـضـــرب
هـو اليـــأس لايخـــبـــو ولا يـتـــذبـذب
وكـن أنت طلق النار إن خـــاب مـــقـــتــــلا
تـنـل مـن هـنـاء الـعـــيـش مـــــا تـتـطـلـب
رأينـا الشـــعـــوب الغـــالبـــات وقـــد غـــدت
عـلى الخــصم فـى الهـــيـــجـــاء نـارا تلهب
وكم مـن كـــمىّ فى مـــضـــارب ســـيـــفـــه
مـنايـا لـهـــا الأعـــداء فى الحـــرب تـلهـب
لقـــد دارت الأفـــلاك يـامـــصـــر فـــانـهـــضى
إلـى مـــــوقـف دام بـه الـنـصـــــر يـكـتـب
ثـقى بـالـشـــبـــابِ الصـــابرين فـــإنهم
غـــيـــاثك إن شـــامـــوا الـدنيـــئـــة يـغـضـبـــوا
بـهم كـل مــــرهـوب الـعـــــراك مُــقـــــذّف
وفـــى بـــرده لـــيـــث إذا ريـــع أغـــلـــب
وفـــيـــهـم نـســور فى انـقـــضـــاضـهـم الردى
لـهم كـل يـوم طـيـــــــــرة وتـوثـب
كـــذلك يـامـــصـــر الحـــيـــاة شـــجـــاعـــة
فـللبـــأس فى الأقـــوام ديـن ومـــذهـب

القسم الثاني : النثر
اعترافات الديب

لقد سجل عبد الحميد الديب مشاعره وعواطفه وأحلامه في قصائده الشعرية التي تنبض بالحرارة والصدق والعاطفة ، وكان شعره سلسلة من الاعترافات ولكن الكثير من الأدباء يعتقد أن الديب لم يمارس كتابة النثر .. والحقيقة أن شاعر البؤس لم يكتب نثرا إلا في فترات متقطعة في سنواته الأخيرة. وقد عثرت على بعض كتاباته النثرية التي كتبها ما بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٤١ بعنوان (خواطري) وقد رسم الديب في تلك الخواطر صورا طريفة لحياته سجل فيها مشاعره وأفكاره وتأملاته وأحلامه وذكرياته بصورة تفصح عن ذاته وتعكس مدى ما كان يعانيه من بؤس وألم وغبن. ولقد استمد شاعر البؤس تلك الخواطر من حياته الخاصة وتأملاته في الأدب والحياة بلا مواربة ولانفاق ، بل حرر أسلوبه من كل القيود والأغلال مما أضفى على تلك الخواطر الصدق والعاطفة النابضة بالحرارة .

وإذا رجعنا إلى تعريف الكاتب الفرنسي بأن «الأسلوب هو الرجل نفسه» نجد أن أسلوب الديب بما يتسم به من إشراق البيان والرقة والوضوح والصدق والحرارة والشاعرية والعذوبة يعد انعكاسا صادقا لطبيعته الشاعرية ونفسه الحساسة المرهفة . وبعد فهذه هي خواطر الديب التي تعكس صورا حزينة قاتمة لحياته البائسة المكدودة وألوانا من الغبن والافتئات لاقاها هذا العبقري الموهوب البائس ، حتى صور لنا بعض اعترافاته التي استمدها من واقع حياته ، وصور بها لمحات من ليالي الصعلكة والتشرد !

لقب شاعر البؤس

أجمع المتحدثون عن الشعر والشعراء على أن يمنحوني لقب شاعر البؤس، وأن يتوجعوا لآهاتي وزفراتي في شكواي الزمن وتبرمي بالناس .

وأؤكد لهؤلاء جميعا أن البؤس هو الصلة الروحية بين الأرض والسماء هو صلة قلب الشاعر بربه وكفى !

وليس من شك في أن البائس في الدنيا هو مرشد الوسط الذي يعيش فيه وهاديه ، وأخيراً هو الضحية والقربان للأحقاد والمفتريات !

والظاهرة البارزة في حياة البائس هي الفقر إلى حد الفاقة وكم تمر ليالي الشتاء المهلكة عليه دون أن يجد ملجأ أو (كُنّاً) يتوارى فيه وتعصمه كبرياؤه أن يطرق أبواب

معارفه لينام أو يلتمس الدفء. وقد يطوى الليل والنهار جوعان حيران ، وكلما طرق بابا للكسب من طريق العمل والجهاد يرى دون هذا الباب ألف كلب مسعور تحول دون نيله أمنيته فيعود وقد ملئت نفسه حقداً على المجتمع ، وحسدا لأرباب النعم ، ويرى من الفضائل أن يعلن حقده وحسده وأن يسجله في قصيدة أو قصائد. والذى لا أدريه ولا يدريه الفلاسفة هو : لماذا يراد للشاعر هذا الوضع الذليل ؟ .. أوه ، لقد عرفت أخيرا شيئا كنت أجهله ذلك أن كثيرين من عشاق الشاعر الباكى الحزين يجاهرون بوجوب فقر الشاعر الذى نظم هذا الشعر حتى يخرج لهم ألوانا منه كلما طعنته المحنة طعنة قاتلة. ولعمرى إن هؤلاء أجهل الناس بنظم الشعر وتأليف القصيد ، ولو عرفوا لأدركوا أن الفقر يميت الموهبة ويقتل العبقرية وليكن حرمان الشاعر فى أن يعجز عن الاصطياف فى أوربا مثلا ! ..

أما أن يعجز عن الاصطياف فى روض الفرج فهذا هو مبعث الحقد والتبرم بالناس !. وهل يستطيع أن يقول شعرا ولو فى الجوع؟.. إن الغرام وهو أرفع مظاهر النفس البشرية ينحدر أمام العوز والفقر والجوع ، وكيف يتناجى العاشقان وهما جائعان أو عاريان أو مسهدان؟..

ولماذا لايغنى الشاعر فيقول فى ألوان أخرى من القصيد الذهبي المرح؟.. الحق أن الناس يجهلون ، ولو أنهم امتحنوا بيوم من أيام الشاعر فى عيشته الخاصة لآثروا تعجل الموت! ..

يوم من أيام المحنة ...

طلع الصباح فهب الناس من مراقدهم ، ورقدت أنا ، إذ طويت الليل ساريا فى طرقات القاهرة لعجزى عن اللجوء إلى أحد الفنادق فلجأت إلى فندق الله (الجامع الأزهر) فى أول تكبيرة أهل بها ذلك المؤذن الفاتن الصوت على مئذنته التاريخية العجيبة. وماكدت أسلم عينى لهذا النوم المختلس حتى شعرت بيد تهزنى هزا فاستيقظت فزعا ورأيتنى وجها لوجه أمام من يدعونه (مخبر) ورأيت إلى جانبه شتيتا من الناس كلهم ترتسم على وجهه الآلام التى ترتسم على وجهى ، فنظمنى وإياهم فى سلك واحد ، وساقنا جميعا إلى قسم الشرطة .

أوه ! .. أين حذائى ؟ لقد تفقدته فلم أجده فاضطررت أن أسير مع إخوان الشقاء حافيا وتصور (أفندى) كامل البذلة يسير حافيا ؟ .. وإذ كنا فى بكرة اليوم انتظرنا حتى يستيقظ الضابط المنوب ليقوم بالتحرى عنا . وماهى إلا فترة حتى كمل وضح النهار ، وإذ ذاك لمحت حذائى الضائع فى رجل أحد المقبوض عليهم فاقتربت منه وقلت فى همس (حذائى ياصديقى!..) فتجهم لى وجاهر بأنه حذاؤه ، ولم يبال بوعيدى أن أتهمه بالسرقة وكان الضابط قد صحا وسمع الحوار الذى التهب أخيرا بينى وبين هذا اللص المتبجح فلفت نظره إلى تحقيق جريمة السرقة قبل كتابة (محاضر التحرى) فلم يستمع لقولى وظاهر اللص علىّ وقرظ انتعاله إياه ووبخ حفاى فثرت عليه ثورة أنستنى موقفى منه وموقفه منى ، وبعد فترة رأيتنى مجردا من كل ملابسى إلا قميصا غل يدى عن الحركة وجرهما إلى ظهرى . ذلك هو قميص المرسلين إلى المارستان (مستشفى الأمراض العقلية) ضيوفا على سراى (العباسية) أو (الخانكة) .

وهناك فى دارة (عالم الجنون) رأيت العدالة فى ربيع صباها ونضرة شبابها ، رأيت أحكام المجانين من مدير إلى حارس كلهم عادلون منزهون عن الميل والهوى والإجحاف بحقوق روادهم المساكين . ولما عرضت على الطبيب المتخصص فى فحص القوى العقلية أثبت سلامتى وكمال عقلى ، وردنى ردا جميلا .

وقدر لى ، بسبب هذا ، أن أسعد بعمل صحفى مركز ، جل شأن الله! ..

الخمر والشعر ...

ها نحن على أبواب الحانة نطالعها فى هزج الصباح وقد تندت ملابسنا بطل الندى وباكرنا طرق المدينة كطليعة الفداء فى الحرب الطاحنة . نحن أبناء الأعيان ؟ .. بلى ! .. إنه لحق إذا استثنيت شخصى الضعيف فلست من قيس ولا قيس منى ، ولست من أبناء الذوات أو الأعيان ولكنى أملك وجاهة أخرى ليست من هذا النوع اللامع البراق ذلك أنهم يعرفوننى بالشاعر بل يقولون (شاعر البؤس) !! ..

ولا أكذبك أننا جميعا خلقنا لوجه الكأس والشيطان ، أجمعنا أمرنا عشاء أن نشربها صبوحا وأن نسبق منبه الخمار إلى إيقاظه بأصواتنا الجائعة إلى الكأس !.. لقد استيقظ الساقى وأحطنا بالطاولة التى اعتدنا الشراب حولها ومافينا باخل أو ضنين كل على صديقه . لقد خاب أمل الصحاب فىّ إذ أسروا فيما بينهم أن يسقونى الكأس صبوحا لأقول قطعة غنائية تخيلوا أنها ستكون «أغنية الجيل» وإذ فتشوا لى سريرتهم فى موقفى وأرادونى على القول عييت حتى عن نظم سطر واحد من بيت .

لقد حسبوا الخمر وحمياها تلهم الشاعر أو تفتح له مغاليق الموهبة . لا.. لا.. هذا رأى من لا يقدر للشعر منزلته من السماء وموضعه من الوحى والإلهام . تناوبوا لومى على هذه البكاءة وهذا العى والحصر .

قلت : اتركونى إلى سنة من النوم على كرسى أقول بعدها بيتا أو أبياتا!.. وأسلمت نفسى إلى غمرة السكر فى حالة أشبه ماتكون بالنوم واستيقظت أنشط من رابح النمرة الأولى فى اليانصيب إلى قبض جنيهاتها الآلاف!.. وإذ ذاك استطعت أن أنظم القطعة التى غناها الموسيقار رياض السنباطى ومطلعها :

كلما أقبل ليل أو نهار
شاقنى العهد وشاقتنى الديارْ
وشجانى سحره هذا المزار
والليالى الخرد الغيد النضارْ
بعد طول البين هل يُجمع شمل ؟ ..

هـو نــار ، هـو وجـــــــــد ، هـو قـــــــتلٌ

ياحـــبـــيـــبى كـــيف أنجـــو كـــيف أســلو؟

لقد نجحت فى نظم القطعة ، ولكنى نظمتها وأنا صاح غير مخمور !

الحق أن الخمر عدو للشعر ، ومن الخطأ الشائع أن الشعر يواتى فى حالة السكر !

أنا وأمير الشعراء :

كان اليوم مقرورا تلفح سمومه وجوه المضطرين إلى مواجهة العراء ، وكان صاحبى فى المحنة شيخا معمما قضت الصدف العجيبة أن يشاركنى فى ليلى ونهارى، كلانا غريب ، وكلانا لا وطن ولا سكن ، وكلانا مهاجر بين أقطار الأسى لايجف له دمع إلا إلى مدمع. وإذ باكرنا هذا اليوم ظللنا نذرع الطرقات حتى مررنا على (صولت) إذ كان ندىّ أمير الشعراء (أحمد شوقى) ومجلى صحبه وحاشيته قلت لصاحبى : إن هنا من لو شكونا اليه لمسح دموعنا ! ... وقال : وى ! .. أفى الأرض أم فى السماء هذا الشفيق المنتظر؟ .. قلت : إنه أمير الشعراء شوقى بك !.. وعمدت إلى ورقة من أوراق جيبى الذى لازمته عاما على الأقل فكتبت فيها البيت الآتى :

هل أنت منجد من ضاقت به الحال وقد تغرب : لا أهل ولا مال؟

وأرسلتها مع صاحبى مكررا توصيته أن يخاطب (الأمير) بالباشا إذ كان يهمنى أن أصل بأميرى إلى القمة من غير شك ، وماكاد شوقى يأتى على البيت حتى وقع تحته توقيعا ذكّرنى بأيام البرامكة وعطفهم على طائفة الشعراء والأدباء.

حادث بينى وبين طالب :

بدأ يوم (الجمعة) المولد الأحمدى مولد السيد البدوى ، ويحرص الآلاف من الريفيين على ارتياد الجامع الأحمدى فى أول يوم من أيام المولد المذكور ، وإن الناس لفى ضراعتهم إلى الله وزيارتهم لضريح (صاحب الفرج) كما يدعونه فى أيام المولد والرجبيات إذ استرعى أسماعهم صوت جهير يردد أبيات قصيدة فهرعوا إلى مبعث الصوت فأنشدتهم :

الحـــرب بالأبـــواب أين بنـــوكِ ؟.. يامصر ناديهم لكى يحموكِ؟..

يامصر ما الطليان كفؤك فاهجمى إن لم تكونــــىَ مُـــرّة أكلـوك

والظاهر أن رأيى فى وجوب اقتحام المعمعة لم يصادف هوى فى نفس أحد طلاب المعهد الدينى فجرى هذا الطالب فى ثورة واختطف القرطاس الذى كتبت فيه القصيدة من يدى ومزّقه ، وهنا فارقت المنصة فى غضبة ملتهبة واختطفت غطاء رأس الطالب ومزقت شالها الأبيض الناصع البياض وقلت للطالب :- أنا لم أخسر شيئا لأنى أحفظ القصيدة وأما أنت فقد خسرت لأنك لاتحفظ غطاء رأسك!.. فتدخل الجمهور فى الحادث فرفضت الصلح مع الطالب إلا إذ كتب القصيدة بخط النسخ الجميل ، فأذعن الطالب وكتب القصيدة فانتهت المشكلة بسلام واعتنق الطالب رأيى فصفق الجمهور!..

أنا وزوجتى ...

ها أنذا أحرق البخور بين يدى زوجتى لأرقو عقوقها لى فى مصاحبتى إلى نزهة أو ارتياد إحدى دور السينما ، وكلما مثلت لها مباهج الشارع وزينت فى عينيها مناظر المجتمع وبشعت فى خاطرها وحشة البيت ووحدتها وانفرادها فى السكن زاد عقوقها وازورت عن هذا الأنس الموعود ، ورفضت ثم رفضت عابسة متطيرة من النزهة والسينما وما إليهما؟.. فلماذا هذا التطور فى رغبات السيدة وهى فى العقد الثانى من عمرها ؟ لقد كانت إلى عهد قريب صاحبة الاقتراحات الماكرة فى التنزه والفرجة على دور السينما والتمثيل ، وكنت إذا رفضت اقتراحاتها فى هذا السبيل ترمينى بالرجعية والردة عن الحضارة والتمدين وتضرب الأمثال بالقريبات والجارات اللواتى يتمتعن بحرية فضفاضة خارج البيت.

فما الذى أطفأ فى زوجتى هذه الجذوة المتحرقة إلى التمتع بلذاذات الفسحة ومتع الفرجة؟.. ما الذى خلقها خلقا جديدا وخلقنى خلقا جديدا فى هذا الموقف؟.. أصبحت أنا الراجى والمقترح وهى الآبية الرافضة!.. أوه... لقد علمت كل شئ وإنها لتُديل منى بحق إذا أصررت على وجوب مصاحبتها إياى ، إنها غاضبة على الشرف والكرامة وخشية العفاف على جرح كيانه وهدم عزته[1]

بلى!.. إن هنالك كلابا مسعورة تترقب المرأة فى كل مضطرب من أرض مصر وفى كل طريق وزقاق من العاصمة الكبيرة!.. مواقف يرسلون منها ألسن السفه وألفاظ الكنايات الوقحة والنكات السمجة ولاحيلة للمرأة أو لمن يصاحبها فى إدانة هؤلاء الملاطيع مادام القانون لايعاقب المعتدى إلا إذا كان من أثر اعتدائه أن يرى دم الضحية أو جراح المعتدى بجسمها البرىء؟.. هيهات!.. لقد شكونا غير واحد من هؤلاء فكان نصيبنا من الشكوى إهانة جديدة نسمعها من الضابط ثم يُعرض عنا فيفلت المجرم من بين يديه أقوى مايكون معتدٍ وقح على شتم الناس .

فهل آن أن تتدخل وزارة الشئون الاجتماعية فى هذا الموقف الجوهرى من حياتنا الاجتماعية؟!..

الشعر والنظم :

ها أنذا جالس بمقهى بالحىّ اللاتينى[2] وقد هبت نفحات العصر فى ذلك الحى المملوء بالسحر تحمل بين خطرات النسيم روائح المباخر والمسك وليس يصاحبنى فى

---

(١) الحقيقة أن السبب الرئيسى فى امتناع زوجة الشاعر البائس عن مصاحبته فى التنزه هو ألم زوجته لرثاثة ثياب زوجها وثيابها فضلا عن سخرية بعض الأشقياء بالشاعر البائس وهو يسير مع زوجته

(٢) الحى اللاتينى اصطلاح كان يطلقه عبد الحميد الديب على حى (الحسين) .

جلستي إلا إبريق الشاي وأكوابه . أوه لقد أقبل هذا الشاب الأزهرى الثقيل يحمل فى يده ورقة ويلوح لى بها كما يلوح لى الدائن بصك مكتوب علىّ فيه بعض الدين . ترى ماذا حملت الورقة من هراء صاحبى وعبقرية جهله؟!.. لقد جلس بعد أن حيانى تحيه أكثرها ألفاظ وأوصاف ضخمة لشخصى المنكوب!.. فرددت عليه بما اعتدت من نظرة مقشعرة وامتعاضة أغلقت عينى عن رؤيته ... قال : لقد أصبحت شاعرا ... اسمع يامترا! (يامترا!.. كذا يلقبنى شيخنا ساسان!..) قلت فى نفسى : سمعت الرعد يا (....) وأظهرت له استعدادى لسماع إلهامه البليد قال :- إن فلانا شتمنى ولكمنى فى صدرى ... أى وربى .. فلم أجد بدا من هجائه!.. وتلا علىّ مطلع القصيدة وهو :

بغلٌ يريد الحرب كى يحظى بما   صنع الحمار مع الأسود الضاريه

فلم أجد بدا من استئذانه بضع دقائق أعود إليه بعدها . وإذا كان القارظان قد عادا فإني عدت إلى هذا الشاعر (البليغ)!..

ومثل هذا كثيرون ممن أغراهم الجهل بالشعر فنظموا وحطموا وذلوا وهم يظنون أنهم شعراء والعياذ بالله!..

نقد شاعر لشاعر :

إنما يداوى شارب الخمر بالخمر ، ولايفل الحديد إلا الحديد. فإذا انبرى شاعر لنقد قصيدة شاعر آخر فمن الغى أن ينقده بهذه الطريقة الخائبة التى يتعبدها النقاد الشرقيون وهى التصدى للألفاظ وأخذ المعانى والأغراض حتى كأنها خادمة للألفاظ والأسلوب!! ... الشعر ليس ألفاظا ولايمت إلى اللغة المشتركة إلا من حيث أداؤه . وإذن ينبغى أن يكون نقده بطريقة أخرى، فيتحدى الناقد الشاعر بنظم البيت نظما أوفى مما هو عليه من صياغة ومعنى وخيال، قال فلان كذا ، وأنا أقول كذا ، وللناس بعد هذا عقول ومدارك تظهر أفضلية أحدهما على الآخر .

السماجة والجسارة :

قلت لصاحبى وقد طالعنى قبل مطلع الشمس فى بدلة مهلهلة وطربوش درن وحذاء لاشك أنه توارثه عن أبى القاسم المشهور :

ماذا أقض مضجعك فباكرت مطلعك؟.. إنى لأرى فى عينيك الحمراوين ووجهك الأصفر المتقعِ كأنك طويت ليلتك فى ترصد أحد النجوم حتى إذا سلم النجم إلى أبراجه عدت إلىّ فى هذه السحنة وتلك الثياب..!.. قال : بلى .. إنه لحق ... لقد طوقت بطرقات القاهرة من الأصيل إلى هذه الساعة ولقد دفنت فى كبدى خلال هذا الليل

الكافر سهاما يكفي أحدها للقضاء عليّ لولا أني وطنت نفسي على احتمال المكاره!...

وكان صاحبي في نعمة ضافية سابغة الكساء ، كان مدرسا بإحدى مدارس الفرير بمرتب لايحلم به أربعة أو خمسة من مدرسي الإلزامي ففوجئ بالفصل من عمله لا للسبب الذي يفصل به المدرسون أو تهوي به الكواكب أو تثور البراكين؟!

لابل إنه كما أعلم عنه ليس سمجا مداهنا!.. ومع أنه كاتب وشاعر فقد عجز عن نظم مقطوعة من المدح لهذا الأب الفريري الفرنسي الذي يدير المدرسة!.. ولقد استطاع منافسه البكيء لأمرٍ ما أن يظفر بتجديد عقده عاما آخر بالمدرسة، ذلك بأن الشيطان درّب نفسه القذرة على الضراعة والتفنن في الذل والمسكنة ومشى مع المدير في مراحل غروره يزوده في كل مرحلة بقوة من النفحات الكاذبة والألقاب المزورة ، ثم يهبط تحت قدميه هبوطا لايرتضيه العم سليمان النوبي بواب المدرسة .

إنما ليست المسألة مسألة العيش والهناءة في الحياة إلا رهينة هذه الصنعة : صنعة السماجة فمن أتقنها فهو العامل السعيد ومن عي عنها فهو العاطل الشريد!.. ولا أدري أهذا هو اللون الذي يعنيه الشاعر الأول بقوله :

من راقب الناس مات هما   وفاز باللذة الجسورُ

أم ليس إياه؟!.. فإن كانت الأولى فاللهم إن السماجة من مكارم الأخلاق!..

في حضرة الخديو

كانت فترة مفردة حلوة تلك الفترة التي باكرت فيها الشباب تلميذاً بمدرسة (دار الدعوة والإرشاد) التي أنشأها التلميذ الأول للمرحوم الأستاذ الامام وهو المرحوم السيد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) .

ولقد حال صغر سني يومئذ دون إلحاقي بالقسم الداخلي حتى إذا زار المدرسة الخدير عباس حلمي قمت في حركة جنونية وارتجلت في صوت جهير مسموع :

مولاي إن المسلمين كما ترى   ما بين مظلوم وبين مهان

فابتسم ثم أمر بإلحاقي بالقسم الداخلي ومنحني ساعة قيمة بقيت معي مدخرة في جيبي حتى فرّقَ بيني وبينها ... وكم فرقت الحاجة بين العزيزين المتحابيْن !

المراجـــع

١ - الدوريات :

١ - مجلة الصباح (١٩٣٤ - ١٩٤٣)

٢ - مجلة أبوللو (١٩٣٢ - ١٩٣٤)

٣ - مجلة المقتطف (١٩٣٥ - ١٩٤٢)

٤ - مجلة الرسالة (١٩٤٠ - ١٩٤٣)

٥ - مجلة الكشكول (١٩٢٧ - ١٩٣٢)

٦ - مجلة مسامرات الجيب (١٩٤٦ - ١٩٥٠)

٧ - مجلة الاثنين (١٩٣٩ - ١٩٤٥)

٨ - صحيفة الوادى (١٩٣٢ - ١٩٣٤)

٩ - صحيفة الأهرام (١٩٣٩ - ١٩٤٣)

١٠ - صحيفة مصر الفتاة (١٩٣٨ - ١٩٣٩)

١١ - صحيفة فتى النيل (١٩٣٨ - ١٩٤٣)

١٢ - صحيفة «البلاغ» (١٩٣٥ - ١٩٤٣)

٢ - الكتب :

١ – دراسات أدبية/ عمر الدسوقى

٢ – مأساة شاعر البؤس عبد الحميد الديب/ محمد رضوان – دار الهلال / ١٩٧٦

٣ – فيلسوف الصعاليك / محمد رضوان – مركز الراية / ١٩٩٩

٤ – عصر ورجال/ فتحى رضوان / مكتبة الأنجلو / ١٩٦٧

٥ – الشاعر عبد الحميد الديب/ د. عبد الرحمن عثمان / دار المعارف / ١٩٦٨

٦ – ذكريات باريس/ د. زكى مبارك / المكتبة التجارية ١٩٣٩

٧ – الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى/ د. يوسف خليف / دار المعارف .

٨ – تاريخ الشعر السياسى/ د. أحمد الشايب – القاهرة – ١٩٤٥

٩ – العقد الفريد/ ابن عبد ربه – القاهرة .

١٠ – ديوان الشنفرى/ القاهرة ١٩٣٧

١١ – ديوان عروة بن الورد/ بيروت

١٢ – الذين أدركتهم حرفة الأدب/ طاهر أبو فاشا / دار المعارف

١٣ – حكايات الشطار والعيارين/ د. محمد رجب النجار/ الكويت ١٩٨١

١٤ – علم النفس والأدب/ د. سامى الدروبى/ دار المعارف

١٥ – عبد الحميد الديب/ تأليف سيد عبد الحميد الوكيل/ رسالة ماجستير

الفهرس

عنوان القصيدة	صفحة	عنوان القصيدة	صفحة
وتر نافر وصعلكة مبدعة :		ثورة مظلوم	٨٧
فاروق شوشه.........	١	موت الشيطان	٨٩
حكاية هذا الديوان :		في غرفتي	٩٣
محمد رضوان	١١	كيف أعيش ؟	٩٥
سيرة حياة الديب	١٧	الحبل المنقطع	٩٦
القسم الأول الشعر	٥٥	حرمان	٩٨
البائس	٥٧	في السجن	٩٩
الطلل الباكي	٥٨	السجن أحب إليّ	١٠١
وصف راقصة	٦٠	سرقة لحافي !	١٠٣
دمع المنازل	٦١	شياطين الملائكة	١٠٥
بؤس الشرف	٦٣	في قريتي	١٠٧
أباة الضيم	٦٥	وداعاً شبابي	١٠٩
في وصف الحبيب	٦٧	حرب الأصدقاء	١١١
مصرع الحظ	٦٨	القدر المذل	١١٣
غنى الجار	٧١	بين السكر والصحو	١١٧
يارية الدار	٧٤	صرخة شاعر	١١٩
في مأتم عرسي	٧٦	من أنا ؟	١٢١
عيد بؤسي	٧٨	صبر البائسين	١٢٣
في الحانة المظلمة	٨٢	حنين	١٢٤
شم الكوكايين	٨٣	أين الدنيا ؟	١٢٦
لماذا البؤس ياربي ؟	٨٤	يارب.. أين رزق السماء ؟.	١٢٨

عنوان القصيدة	صفحة
أجرة السكن	١٣٠
أجرة المنزل بين شاعرين	١٣٢
مناجاة حبيب	١٣٤
محنة بؤسى	١٣٨
ورقائى الذبيحة	١٤٠
طل الندى	١٤٢
العيد الحزين	١٤٥
فى المستشفى	١٤٦
أنا غريب	١٤٩
ثورة بائس	١٥٠
نشيد الأمل	١٥٣
قربان البؤس	١٥٤
شبابى البائس	١٥٧
لماذا أعيش ؟	١٥٨
فى عالم الجنون	١٥٩
من الماضى القريب	١٦١
حسيب وحسيب	١٦٤
والناس فى مصر	١٦٥
مداعبة	١٦٧
أنا وقومى	١٦٩
إنما الناس عبيد	١٧٠
دع الشكوى	١٧٢
أين ليالينا	١٧٣
خطبى	١٧٤

عنوان القصيدة	صفحة
سهد الطوى	١٧٥
أنا وحرمانى	١٧٧
الباب الموصد	١٧٩
شكوى الزمان	١٨١
أنشودة الظافر	١٨٢
إلى آكلى الذهب	١٨٤
شر المهالك	١٨٥
فى حانة «كركور»	١٨٦
بين الهجاء والشكوى والفخر	
مختارات مأثورة للديب	١٨٧
البدر فى ليلة الغارة	١٩٦
بأى قوانين الحياة نداس؟ ..	١٩٨
عيدى فى السجن	١٩٩
دنياى	٢٠٠
آخر الأناشيد	٢٠١
لماذا شقيت	٢٠٢
من شاعر يموت إلى شاعر مات	٢٠٥
توبة	٢٠٨
أحزان العيد	٢٠٩
العزيز الذليل	٢١٠
ركب السعداء	٢١٢
بؤسى وبؤس طه	٢١٣
البلبل الذبيح	٢١٥
معهد الموسيقى	٢١٦

عنوان القصيدة	صفحة	عنوان القصيدة	صفحة
هـات المدام	٢١٨	فى المطار	٢٥٧
ليتنا مثلهم	٢١٩	زيارة الهرم	٢٥٩
أحزان الأسد	٢٢١	الفلاح البائس	٢٦١
جنة وصحراء	٢٢٤	ساعة فى الأوقاف	٢٦٣
النجوم	٢٢٦	إلى الإنجليز	٢٦٤
موت القمر	٢٢٧	إلى قوات الاحتلال الانجليزى	٢٦٥
الشعر الوطنى والسياسى		قتلتم الناس جوعا	٢٦٧
عرس المليك	٢٣٠	الجهاد	٢٦٨
حتى الرغيف فقدناه	٢٣١	فضائح التموين	٢٦٩
منع اللحم	٢٣٢	إلى الحرب	٢٧٠
بين الوطنية والفاقة	٢٣٣	فلسطين الدماء	٢٧٢
ثورة محروم !	٢٣٥	خلوا الكتابة للمدافع والظبى؟!	٢٧٣
الطائرة الساقطة	٢٣٦	تعست أمانى الحكم ...	٢٧٥
الضرير	٢٣٨	وطنى لوجهك هجرتى ومحبتى ..	٢٧٧
إذا جبن الشباب	٢٤٠	مالى وللحرب أصلاها وتصلانى	٢٧٩
التضحية	٢٤٢	الحرب الحرب	٢٨١
إلى أخوانى التاعسين ...	٢٤٤	إلى الجهاد	٢٨٣
بؤس الفلاح	٢٤٥	الخونة	٢٨٥
صوت الفقير فى الحرب المقبله	٢٤٦	أنا الشعب	٢٨٧
صيف القاهرة	٢٤٨	إلى السادة الوزراء	٢٨٨
رمضانيات الديب		حكومة الزنج	٢٩٠
أنا ورمضان	٢٥٠	غضبة فرعون	٢٩٢
البائس فى رمضان	٢٥٣	وصف معركة بحرية ...	٢٩٤
فى تحية رمضان	٢٥٥	بين تحتمس وفاروق	٢٩٧

عنوان القصيدة	صفحة	عنوان القصيدة	صفحة
حطم السجن	٢٩٩	أنا وزوجتى	٣٠٧
القوة حياة شعوب	٣٠٠	الشعر والنظم	٣٠٧
القسم الثانى : النثر		نقد شاعر لشاعر	٣٠٨
اعترافات الديب	٣٠١	السماجة والجسارة	٣٠٨
يوم من أيام المحنة	٣٠٣	فى حضرة الخديو	٣٠٩
الخمر والشعر	٣٠٤	المراجع	٣١٠
أنا وأمير الشعراء	٣٠٦	الفهرس	٣١٢
حديث بينى وبين طالب	٣٠٦	محقق الديوان	٣١٦

محقق الديوان :

محمد رضوان

– ولد محمد محمود رضوان بالدقهلية بمصر فى ١٥ سبتمبر عام ١٩٤٨م

– حاصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١م

– صحفى بدار الهلال – عضو نقابة الصحفيين – عضو اتحاد كتاب مصر .

– يتبع المنهج النفسى فى أدب السير والتراجم وله عدة تراجم أدبية .

– من الأدباء والنقاد الذين تناولوا مؤلفاته بالدراسة والنقد والتحليل (صالح جودت – أنيس منصور – أحمد عبد المجيد – إبراهيم عيسى – عبد العليم القبانى – د. مقداد يالجن – سعد حامد – كمال النجمى)

– له خبرة فى الصحافة الأدبية ، حيث عمل فى سلطنة عمان رئيسا لتحرير مجلة «السراج» ومديرا لتحرير مجلة «النهضة» ويعمل حاليا كاتبا صحفيا بمجلة «الهلال» .

– من مؤلفاته التى صدرت :

١ – صفحات مجهولة من حياة زكى مبارك .

٢ – مأساة شاعر البؤس ، عبد الحميد الديب .

٣ – شاعر النيل والنخيل ، صالح جودت .

٤ – فيلسوف الصعاليك ، عبد الحميد الديب .

٥ – رحلتى مع القلم .

٦ – اعترافات شاعر الكرنك أحمد فتحى .

٧ – شاعر الأطلال ، ناجى .

٨ – شعراء الحب .

٩ – ليالى هارون الرشيد بين الحقيقة والأسطورة .

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٣٢٩٦ / ١٩٩٩.

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 305 - 166 - 8)

ينفرد الشاعر عبد الحميد الديب بلون مميز فى شعرنا العربى المعاصر حيث يعده النقاد أبرز شاعر عكس تجارب حياته البائسة فى شعره بصدق وحرارة .

كان شاعراً فريداً . وظاهرة لم تتكرر ولن تتكرر كثيراً لقد عاش حياة غريبة مثيرة سجلها لنا فى لوحات فنية صادقة عكس فيها مأساة بؤسه ومحنة حرمانه ، وروى لنا فى صدق وأمانة حوادث معاركه وتشرده فى الشوارع وهيامه للبحث عن لقمة خبز تقيم أوده ، وليالى ضياعه ، كل هذا وغيره رسمه لنا الأديب بريشته المبدعة الخلاقة . فكانت حياته فى شعره سلسلة من الاعترافات النابضة بالحرارة والصدق بما اتسم به شعره من دموع وأحزان وأسى وعزفت لنا القيثارة الحزينة أرق أنغام الأسى والحرمان فى شعرنا المعاصر.

فالكتاب يتناول سيرة هذا الشاعر المحروم من خلال شعره.

المجلس الأعلى للثقافة

تصميم : عاطف عبد الحفيظ

Bibliotheca Alexandrina
0494028